

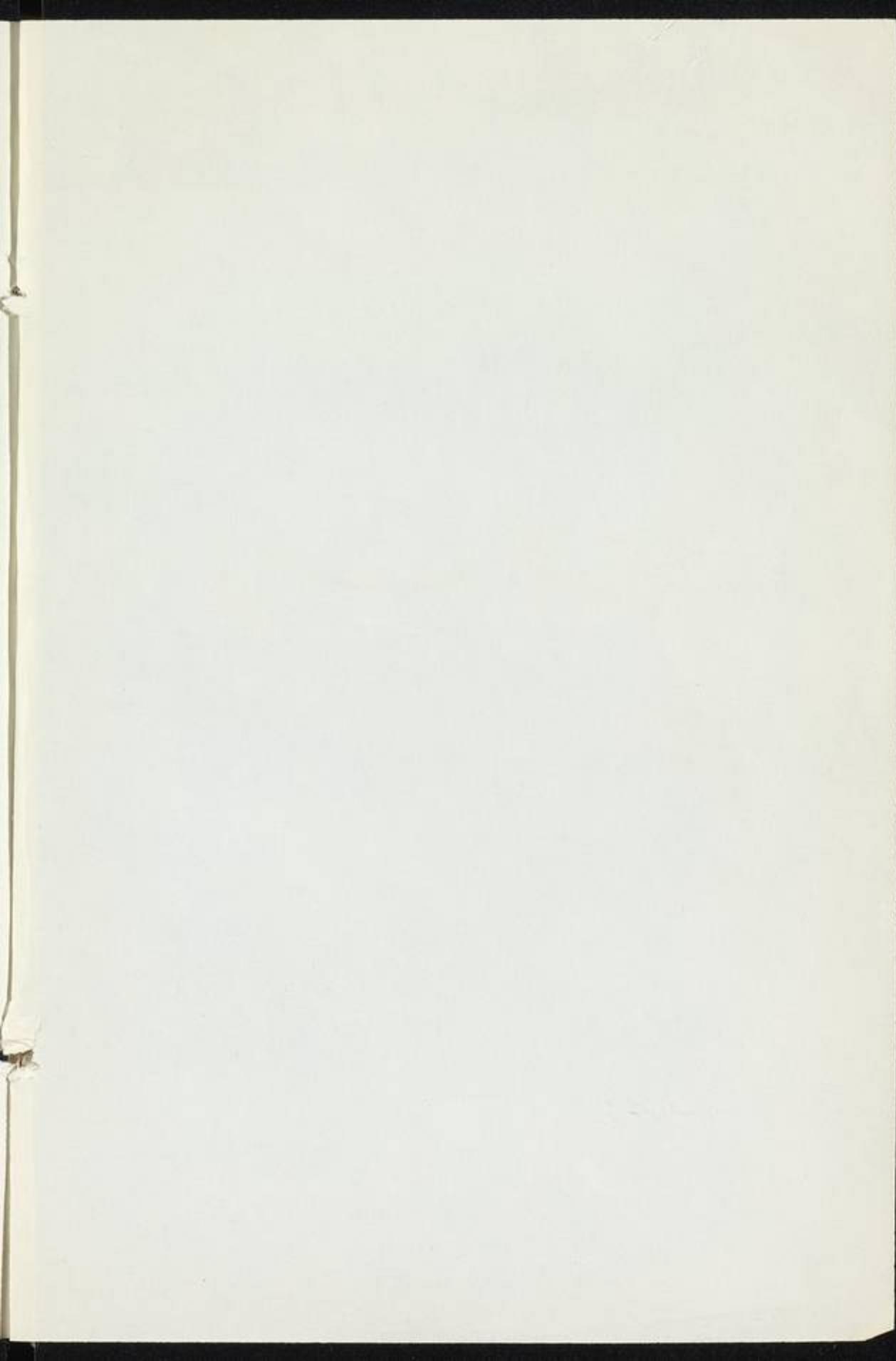
الدكتور
صالح الأشقر
أستاذ في كلية الآداب بجامعة دمشق

في شعر النكبة

بحث خطبي في أصوات
نكبة فلسطين في الشعر
العربي المعاصر

١٣٧٩ - ١٩٦٠ م

مطبعة جامعة دمشق



al-Ashtar, Sālih

الدكتور

صالح الأشتر

أستاذ في كلية الآداب بجامعة دمشق

Fi shi'r al-nakbah

في شعر النكبة

بحث خطبي في أصوات
نكبة فلسطين في الشعر
العربي المعاصر

الطبعة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إلى الأسود الرابضة في (نعيم
العرووب) على الضفة الفريدة من
الأردن ..

إليها ، وقد استبد بها الحنين إلى
الوطن المقصوب ، وأرقها انتظار
أذان الفجر لتلي صيحة الزحف
المقدس ..

إليها أهدي هذه الصفحات !



مُحْسِيد

قبل ثلاثة أعوام ، كنت أطوف مع نفر من طلابي في جامعة دمشق بالضفة الغربية من الأردن ، ودخلنا معسراً للجئين قريباً من مدينة الخليل ، فطالعنا وجوه من البؤس تشخص ملامحها المتمردة اليابسة قصة النكبة ، ولفظت الحيام السود من جوفها أشباحاً منهوبة أقبلت تغوص في الطين الى ساحة المعسكر ، وتجمعت في صف متكسر طويل ، لترد للزائرين التحية !

أحسست بالغصة تحرق حلقِي ، وبالدمعة تسحّر في جفني ، وأنا
أشهد هذا القطيع الآدمي الذاهل ، وأيقظني من شرودي صوت دافئ
ثار ، انفجر من قلب أحد اللاجئين ، ينشد شعراً ينبض بالحنين إلى
الأرض الشهيدة ، ويوجّب بالإيمان والتصميم على الثأر والعودة ،
ونظرت إلى المشردين فإذا الوجوه الصفر الشاحبة تلتقي عند الثأر على
أمل أشعّ في أديمها حمرة العزيمة ، وإذا العيون الضائعة الظامئة إلى
الانتقام ، يجمعها ذلك الشعر ، فلتقي معه عند هدف واحد، ويدوي
العسكر بزفير الغاضبين :

— إننا لعائدون !

وغرّمت صورة العسكر أمام عيني الدامعتين ، ورحت أقول في
نفسي : هذا دور الأدب في معركتنا الكبرى ، فقد استطاع الشعر
أن يفجر من أعماق اليأس والموت والظلم شعلة الأمل والحياة ،
 وأن يعيد للأشباح الحائرة إيمانها بالنضال والنصر ؛ ومثل هذا الدور
المجيد للشعر يستحق الرصد والدراسة ...

وعدت إلى دمشق ، وفي عيني صورة حزينة لأولئك الأخوة
اللاجئين القابعين في (مخيم العروب) ، وفي أذني صدى راعش
لذلك الصوت الدافئ الثائر ، وعكفت منذ ذلك اليوم على شعر
النكبة ، أجمعه وأضمّ أشتاته ، من دواوين الشعراء المعاصرين ،
ومن المجالات الأدبية والصحف ، حتى تجمّع لدى منه قدر كاف ،

يصور أبرز ملامح النكبة ، ويشفـ - كـا أقدر - عن أهم خصائص
الشعر فيها ، ولهذا أجزت لنفسي أن أنجز هذه الدراسة ، وفي يقيني
أن هناك شـعاـراـ نظمتهـ النـكـبةـ وـلمـ تـصلـ إـلـيـ يـديـ ، وـحسبـ هـذـهـ
الـدـرـاسـةـ إـذـاـ أـنـ تـظـلـ بـحـثـاـ تـخـطـيـطـاـ مـخـتـصـراـ ، يـشـقـ الـطـرـيقـ ، وـيـقـيمـ
الـصـوـىـ ، وـيـحـثـ خـطاـ الـبـاحـثـينـ عـلـىـ مـتـابـعـةـ السـيرـ !

أما المنهج الذي ارتضيته لهذا البحث فقد أملته طبيعة النكبة نفسها ،
ذلك أن النكبة الفلسطينية مرت في دورين كبيرين ، وصدور قرار
التقسيم هو الحـدـ الفـاـصـلـ يـنـهـاـ ، وـلهـذـاـ فـإـنـ الـدـرـاسـةـ الـمـقـارـنـةـ لـشـعـرـ كـلـ
دورـ ، وـأـثـرـهـ فـيـ تصـوـيرـ أـبعـادـ النـكـبةـ الـوـاقـعـيـةـ وـالـوـجـدـانـيـةـ ، مـنهـجـ سـلـيمـ
مـوـاتـ ، يـبـرـزـ لـأـعـيـنـاـ الـخـطـ الـبـيـانـيـ لـشـعـرـ النـكـبةـ وـتـطـوـرـهـ ، وـيـضـعـ
أـيـدـيـنـاـ عـلـىـ أـهـمـ خـصـائـصـ وـمـيـزـاتـهـ ؛ وـلـاـ بـدـ لـنـاـ قـبـلـ أـنـ نـأـخـذـ فـيـ درـاسـةـ
شـعـرـ كـلـ دـوـرـ مـنـ تـقـدـيمـ فـرـشـ تـارـيـخـيـ ، يـنـيرـ لـأـعـيـنـاـ ظـلـمـةـ النـكـبةـ ،
وـيـرـيـنـاـ كـيـفـ وـقـعـتـ الـكـارـثـةـ ، وـكـيـفـ تـطـوـرـتـ مـرـاـحـلـهاـ ، وـمـاهـيـ
أـخـطاـءـنـاـ الـعـظـمـيـ وـنـقـاطـ ضـعـفـنـاـ ، فـتـحـدـيـدـ هـذـاـ الجـانـبـ التـارـيـخـيـ الـوـاقـعـيـ ،
يـوـجـهـ درـاستـناـ لـشـعـرـ النـكـبةـ ؛ وـيـعـيـنـاـ عـلـىـ تـقـوـيمـ الـاتـجـاهـاتـ الـتـيـ سـارـ
فـيـهاـ شـعـرـاءـ النـكـبةـ .

سنعرض إذا الحقائق التاريخية لكل دور قبل دراسة شعره ،
وستنتهي بذلك إلى فصل نكشف فيه خصائص شعر النكبة في دورها ..
ورجاونا من بعد أن تشير هذه الدراسة لشعر النكبة عزيمة الباحثين

لدراسة الجانب الآخر من أدب النكبة ، أعني النثر بمختلف فوئنه ،
من مقالة وقصة ومسرحية ، فالنكبة أعنف تجربة عاشتها أمتنا
العربية في تاريخها الحديث ، والأدب الذي انبثق عنها هو أشد جوانب
أدبنا المعاصر ارتباطاً بالنفس العربية وتجاوياً معها ، وفي دراسة هذا
الجانب ، ورصد تياراته وخصائصه ، تقويم للاتجاه الرئيسي الفعال
في الأدب العربي المعاصر كله .

صِلَحُ الْأَزِيْمِيْر

دِمْشَقُ

الفصل الأول

الدور الأول : النكبة قبل قرار التقسيم

نكبة العرب العظمى في فلسطين جذور بعيدة ، ترجع بنا إلى فجر التاريخ الحديث للأمة العربية ، منذ تطوى العملاق الغربي في نهم مسحورٍ ، وهو يرى الرجل العثماني المريض نائماً على تراثٍ مغريٍ ، من جملته رقعة من الأرض متراوحة الأطراف ، عاصمة بخاراتٍ تسيل للعاب ! وهذه الرقعة الغارقة في الظلم والجهل والنوم هي الوطن العربي الذي أغري نابوليون ، فأقبل من الغرب يحدوه الشوق إلى الفتح ، ومديده فأمسك ببصر ومعظم فلسطين ، وتهألاً لاتهام بقية الوطن العربي ، حين صحا « الرجل المريض » من غيبوبته ، واستطاع بتأييد من الانكليز أن يرد النسر الفرنسي عن سماء المشرق !

ومرّ زمان .. وحفر اسماعيل القناة بسواحل المصريين ودمهم
ودموعهم ، وظنوا أنها ستكون شرياناً يحمل إليهم دم الحياة ، ولكن
استهتار الخديوي وحيلة الاستعمار جعلا منها ثعباناً ملتفاً على عنق الوطن
العربي : فقد باع اسماعيل القناة سلعة رخيصة بأربعة ملايين جنيه ،
وهو الذي أنفق في حفلة افتتاح القناة وحدها نصف هذا المبلغ ،
ودفع المليونير اليهودي روتشيلد الملايين الأربع إلى رئيس وزراء
بريطانيا اليهودي دزرائيلي ، فأصبح الانكليز يملكون القناة ، ويحفظون
لروتشيلد هذه اليد (اليهودية) التي طوق بها عنق بريطانيا ، والتي لا يريد
من ورائها منا ولا شكوراً ، غير تأييد بريطانيا الأدبي للصهيونيين
بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين .

وأقبل القرن العشرون ، والأمة العربية لاتزال في سباتها العميق ،
لم يستيقظ منها غير نفر قليل ، تلقوا تعليمهم في أوربا ، أو في الآستانة
التي كانت يومذاك تصبح بالحركات القومية والاصلاحية ، وقد هاهم
تأخر قومهم ونومهم ، فصرخوا فيهم ، ولكن صرختهم ضاعت في
نفوس ميتة ، فلم يردهم ذاك عن عزيمة النضال ، وظلوا يعتقدون
المؤتمرات ويدعون إلى الاصلاح ، وهؤلاء هم الشباب القوميون
العرب الذين باركوا ثورة الشريف حسين على الحكم العثماني ،
وأيدوها وقدموا الضحايا من أنفسهم في سبيلها .

لم يكن تأييد الشباب القوميين العرب للثورة العربية هو كل

ما يدعاها ، فن وراء الشريف حسين كان نفوذ أهله وعشيرته ، ووعود بريطانيا له بدعم استقلال العرب ، وذهب (لورانس) الذي كان ينشره بدون حساب ، ليرفع به «أعمدة الحكمة السبعة» !

وانتهت الحرب الكونية الأولى ، وأخفقت ثورة الحسين ، لأن آماله الكبيرة لم تتحسب لغدر بريطانيا حسابة ، ولأن إيمان الشباب القومي بثورته لم يكن يتوجه في قلوب عامة العرب ، حتى ولا في قلوب خاصتهم ، وقد رأى كثير من العرب في ثورة الحسين خيانة المسلمين ، فهبوا يحاربونها . ويدافعون عن الخلافة العثمانية ، ويحذرون من مطامع المستعمرات المتربيصين ، ولقد هاجم الشريف حسين شاعر كبير آنذاك ، هو شوقي ، مهاجمة عنيفة ، ورجا الأتراك ألا يلغوا الخلافة ليتو لاها رجل عاجز أو هي المسلمين بجراحه :

من قائل المسلمين مقالة لم يوحها غير النصيحة واح
لا تبذلوا برد النبي لعاجز عزل يدافع دونه بالراح
بالأمس أو هي المسلمين جراحة واليوم مد لهم يد الجراح
ومثل هذا القول من شوقي كان يمثل في ذلك الحين عواطف مصر
وكم من أهل الشام والعراق والجزيرة ، ولهذا خاب الشائزون ،
واقسم المتتصرون في الحرب مناطق النفوذ في العالم العربي ، واحتل
جيش الانكلترا بقيادة (النبي) فلسطين ، وقدم وزير خارجيتهم
(بلفور) سنة ١٩١٧ وعده المشئوم إلى اللورد اليهودي (روتشيلد) : «إن

حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، وستبذل جهدها تسهيل تحقيق هذه الغاية » .

كان هذا الوعد خاتمة جهود مسحورة لم تتم لحظة منذ خلافة السلطان عبد الحميد ، فقد حاول الصهيونيون شراء السلطان بالمالين فما أفلحوا ، وعرض زعيمهم (هرتزل) عليه مليون جنيه استرليني ليمنح اليهود امتيازاً بإنشاء مستعمرات يهودية زراعية في فلسطين ، فرفض عبد الحميد عرضه ، وكاد الصهاينة يأسون ، ولكن الحرب الكونية الأولى أنقذتهم من يأسهم ، وذلك أن كلاً من الطرفين المتحاربين كان يطمع في كسب تأييد اليهودية العالمية إلى جانبه ، وكان وعد بلفور ثمن فوز الحلفاء بدعم الصهيونية لهم ، فأعادتهم بأموالها ونفوذها في الولايات المتحدة لخوض الحرب إلى جانبهم حتى نجحت ، ومنذ صدور هذا الوعد تعلقت به آمال يهود العالم الهاربين من الاضطهاد ونفحة الشعوب عليهم ، لجشعهم المادي وتعصبهم الطائفي وخياناتهم وتخريفهم ، فأصبحوا ينتظرون يوم الهجرة إلى فلسطين .

استلم اليهود وعد بلفور كلمات عاطفية مشبعة تغذى آمالهم بالعودة إلى بلد يزعمون أن لهم فيه حقوقاً تاريخية منذ ألفي سنة ! ولكنهم استطاعوا خلال ثلاثين سنة أن يحيوا الكلمات حقيقة واقعة بحد هم ودسمهم وكيدهم ؛ يقول (وايزمان) زعيمهم : « كانت مهمتي في كل مكان وزمان أن أوضح للصهيونيين أن تصرح (بلفور) ليس إلا إطاراً ،

علينا أن نملأه نحن بجهودنا ، والحق أن جهودهم لم تقف ، فما يكاد الجنرال (النبي) يدخل القدس حتى يستقبل في مركز قيادته بالرملة اللجنة الصهيونية القادمة لدراسة الوضع في فلسطين ، ثم تنطلق الآلة الصهيونية ، تجمع المال لتشتري الأراضي العربية من أصحابها بأي ثمن ، وتسجلها ملكاً أبداً للأمة اليهودية جماء ، ثم تقسمها قطعاً وتتوزعها المهاجرين القادمين ، وتنجحهم القروض لبناء المساكن ، وتساعدهم على الاستيطان ، في ظل وارف من عطف حكومة الانتداب الانكليزية ، وفي أشهر قليلة كانت الأرض الجرداء تحول إلى مستعمرات زاهية وجنات عاصمة بـالمواطنين المهاجرين ، العاكفين على تعلم اللغة العربية ، والخاضعين لعملية صهر قومي تجمع أشخاصهم ، وتنسق أمورهم وتوحدها .

ونظم اليهود أنفسهم في وكالة يهودية ترعاهم وتحمي مصالحهم :
شتري الأرض ، وتبني المستعمرات ، وتفوز بامتياز البحر الميت
وثرواته ، وتبني لليهود ميناء خاصاً في تل أبيب ، لتجارتهم واقتصادهم .
لقد بدأت الخيوط الأولى للنكبة تبرز لكل عين ، ولكن العرب
لم يكونوا الى ذلك اليوم ليحسوا بالخطر الرهيب إحساساً كافياً ،
وإذا تحرّكوا فلكي يقوموا باضراب أو مشاغبات أو ثورات لا تلتقي
عند هدف منظم مدروس ، وكان الاختلاف بين زعمائهم يقسم
جموعهم شيئاً وأحزاها انتشار وتعادي ، واليهود يتبعون تحصين

المستعمرات ، ويستعدون للمعركة المقبلة ، ويستقبلون كل يوم أفواج
المهاجرين من كل صوب ، فيزدادون بهم قوة وتنظيماً !
وجاءت الحرب العالمية الثانية لتعيينهم على إنشاء المصنع الضخمة ،
وتتيح لهم تدريب فتيانهم وتسلیحهم ، حتى أصبح لهم في جيش
الحكومة فيلق يهودي شارته نجمة داود ! وكانت دعاياتهم الهائلة تبني
لهم في كل بلد رأياً عاماً يساندهم ويعطف عليهم ، لاضطهاد النازية لهم
وفتكها بهم ؛ وعندما أوشكت الحرب أن تنتهي ، كان الرأي العام
ال العالمي المخدوع بهم يناصرهم ، وبخاصة في الولايات المتحدة موطن
نفوذهم الأول .

وما كاد النصر يتم للحلفاء حتى أسهمت الولايات المتحدة مع بريطانيا
في البحث عن حل للمشكلة الفلسطينية ، وقت اللعبة الناجحة بوضع
القضية بين يدي منظمة الأمم المتحدة ، وأعلنت بريطانيا أنها ستنهي
الانتداب على فلسطين في الخامس عشر من أيار سنة ١٩٤٨ .

كان النفوذ الصهيوني والأميركي يجند القوى في المنظمة الدولية
إلى جانب اليهود ؛ وحين كشف الاتحاد السوفيتي عن نوایاه أيضاً
بتأييد قرار التشيرنيد للشعب العربي من فلسطين ، وقفت الأمة العربية
على باب تجربة عنيفة حمراء ، تدعوهـم إلى إثبات وجودهم وقدرتهم
على الاحتفاظ بكيانـم الأرضيـ الموروث عن آبائهم ، وكانت الجامعة
العربية بدوـلـها السبع يومـذاك تـقـفـ فيـ المـيدـانـ ، وـلـمـ تستـطـعـ دـوـلـهاـ

الأعضاء في المنظمة الدولية إثارة الضمير العالمي ، لأن ضميرها هي
لم يتحرك للنكبة ، ولأن الدول العربية التي يجري البتول من تحتها
حبسها البخل والخوف والخيانة عن تهديد مصالح الغرب وامتيازاته
فيها ، فقد صدر قرار التقسيم ، ودوى الرصاص في أرض النباتات ،
لتصبّغ دماء الجريمة الكبرى .



الفصل الثاني

شعر النكبة في الدور الاول

عرضنا الحقائق التاريخية المخزية التي مهدت لوقوع المأساة القومية العظمى ، وبان بذلك أن فلسطين كانت في السنوات الثلاثين الأخيرة، منذ وعد بلفور ، تسير نحو الهاوية المرعبة سيراً حثيثاً أعمى ! غير أن صوت الشعر كان يدوّي في أرجاء العالم العربي كله ، يوقد النائمين ، ويحذر الغافلين ، وينذر بالخطر القريب الداهم ، وكانت أقوى الأصوات وأعمقها ينبعث من قلب شاعر فلسطيني كبير ، أدرك بوعيه وبصيرته أن ليل المحنّة قريب ، ورأى قومه لاهين غافلين ، فصرخ في النائمين ، يهزّ ضمائرهم ، ويقوّي عزائمهم ، ويصور لهم المستقبل الأسود الرهيب ، إلى أن تظاهر عليه اليأس والداء فصرعاه عن عمر

الزهر والربيع ، ولما يتجاوز السادسة والثلاثين ، ورحل عن دنياه
قبل أن يشهد بعيشه مصرع فلسطين !

ذلك شاعر فلسطين الكبير ابراهيم طوقان ، المولود في نابلس
سنة ١٩٠٥ ، وقد أسمهم بلده القدس والجامعة الاميركية في بيروت
في تكوين ثقافته ، ثم انطلق ولما يبلغ الخامسة والعشرين ليتولى
التدريس في الثانويات فالجامعة الاميركية ، ثم أصبح مديرًا للبرامج
العربية في إذاعة فلسطين سنة ١٩٣٦ ، فلاحظه الدسائس ، وثارت
الصهيونية على أحاديثه الاذاعية الموجهة توجيهًا عريباً قومياً سليماً ،
فأقصي عن العمل ، ليتحقق بالعراق ، ويعود إلى مهنة المعلم ، فأرهق
بذلك نفسه؛ وعاوذه المرض فرده إلى نابلس ليطوي فيها صفحاته شبابه .

ونقلب اليوم ديوان ابراهيم طوقان فيطالعنا منه أنين قلب جريح ،
يقص في تفصيل حزين حكاية النكبة في دورها الأول ، مغمضة بالألم
واللوعة والخوف على مستقبل وطنه وأمته ، وتلتهم في جوانحها
أنفاس من الحماسة الحزينة والرجاء الكثيف ، ترتعش كالنار أمام كل
فداء وشيد ، فطوقان كان في شعره الوطني الذي يؤرخ نشأة النكبة
صاحب رسالة . لقد أحب طوقان وطنه ومحبّ فيه الجمال والبهاء :
موطنِي الجلال والجمالُ والسناءُ والبهاءُ في ربك
والحياةُ والتجلّةُ والهناهُ والرجاءُ في هواك
هل أراك

سالماً منعماً وغاماً مكرماً
 هل أراك في علاقك
 تبلغ الساڭ
 موطنى

ومن قلب الشاعر الحب لوطنه تتطلق النسمة العارمة على المحتل
 المستعمر ، في سخرية مُرّة بالانكماش وعدوزيرهم (بلفور) لليهود:

قد شهدنا لعنةكم بالعدالة وختمنا لجنديكم بالبسالة
 وعرفنا بكم صديقاً وفيأ
 وخجلنا من (لطفك) يوم قاتم كل أفضالكم على الرأس والعيون
 أنكم عندها بأحسن حاله ولئن ساء حالنا فكفانا
 غير أن الطريق طالت علينا وعليكم فالنار والإطالة
 أجلاء عن البلاد تريدو نفجلو أم محقنا والإزاله
 ومن (طف) المحتل وفضله أن أصبح العربي يرسف في الجور
 والفقر والفساد ، وأصبح المهاجرون اليهود كالطوفان يهدّد
 العرب بالفناء :

منذ احتلتم وشئم العيش يرهقنا فقراً وبجوراً وإتعاساً وإفساداً
 بفضلكم قد طغى طوفان هجرتهم وكان وعداً تلقيناه إيعاداً
 وانصرف طوقان إلى ضمير الشعب ، ينفع فيه روح المقاومة

والجهاد ، ويغنى ببطولة كل فدائي يتلذذ قلبه بين جنبيه بالغاية النيلية
الكبرى ، أما فهو فهو :

صامت لو تَكَاهَا لفظ النار والدماء
قل من عاب صمته خلق الحزم أَبْكَاهَا
وأَخْوَ الحزم لم تزل يده تسبق الفرا
لا تلوموه قد رأى منهاج الحق مظلما
وببلاداً أَحَبَّها ركناها قد تهدموا
وخصوصاً يغيمهم ضجت الأرض والسماء

هو بالباب واقف والردى منه خافق
فاهدئي يا عواصف خجلاً من شجاعته !

حتى إذا سقط الفدائي شهيداً ، كان غناء طوقان اللحن الثائر
الذي يشيعه إلى أبواب الخلود ، ويجعل اسم الشهيد أغرودة البطولة
الهازجة في فم الزمن :

عبد الخطبُ فابتسم وطغى ال�ولُ فاقتجم
رابط الجأش والنوى ثابت القلب والقدم
نفسه طوع همة وجمت دونها الهمم
وهي من عنصر الفدا ومن جوهر الكرم

لم يشيع بدمعة من حبيب ولا سكن ربما أدرج الترا ب سليباً من الكفن لا تقل أين جسمه واسمُه في فم الزمن أرسل النور في العيو ن فـا تعرف الوسن وكان طوقان يرى تدفقآلاف المهاجرين اليهود على فلسطين، يتسللون إليها من البحر، بالتهريب حيناً، وباسم السياحة حيناً، وعين الساطة الانكليزية غافلة أو متعافية، والعرب نائمون :

يهاجر ألف ثم ألف مهربا
ويدخل ألف سائحاً غير آيب
وفي البحر آلاف لأن عبا به
أمواجه مشحونة في المراكب
بني وطني هل يقظة بعد رقدة
وهل من شعاع بين تلك الغياه
ومن أين لبني وطنه أن يستيقظوا ، و كثير منهم يخطف ذهب
اليهود أبصاره ، فيبيعونهم أرضاً لهم ، وهم لا يدركون أنهم يرتكبون
الجناية الكبرى ، وأنهم لم يبعوا أرضاً وإنما باعوا لعدوهم المترخص
بهم وطننا : بهم

باعوا البلاد إلى أعدائهم طمعاً
قد يغدرون لوان الجوع أرغمهم
بابائع الأرض لم تحفل بعاقبةٍ
لقد جنّيت على الأحفاد والهفي !
وغرّك الذهب، اللامع تحرّزه
إن السراب - كا تدرية - لامع

فـكـرـبـوـتكـفـيـأـرـضـنـشـأـبـهاـ وـاـتـرـكـلـقـبـرـكـأـرـضاـ طـوـلـهـاـ باـعـ
 وـكـانـطـوـقـانـيـحـذـرـالـمـخـدـوـعـينـبـالـثـرـاءـالـمـوقـوتـمـنـثـنـمـاـبـاعـواـ
 مـنـأـرـاضـ،ـوـيـتـنـبـأـ.ـوـيـاحـسـرـةـالـقـلـبـلـصـدـقـمـاتـنـبـأـبـهـ.ـأـنـاحـتـلـلـ
 الـيهـودـلـفـلـسـطـينـآـتـ،ـوـأـنـيـوـمـالـرـحـيلـعـنـالـدـيـارـقـرـيبـ:
 هـيـهـاتـذـكـإـنـفـيـيـسـعـالـثـرـىـفـقـدـالـثـرـاءـ
 فـيـهـالـرـحـيلـعـنـالـرـبـوـعـغـدـأـإـلـىـدارـالـفـنـاءـ
 فـالـيـوـمـأـمـرـحـأـكـاسـيـأـوـغـدـأـسـأـبـذـأـبـالـعـرـاءـ
 وـأـكـثـرـمـاـكـانـيـرـوـعـطـوـقـانـمـاـيـاهـمـنـخـيـاتـهـزـعـمـاءـالـبـلـادـلـقـضـيـتـهـ،ـ
 فـقـدـكـانـهـؤـلـاءـالـزـعـمـاءـسـيـاسـرـةـالـبـلـادـ،ـيـخـدـعـونـالـشـعـبـوـيـخـدـرـوـنـهـ
 بـعـسـوـلـالـلـفـظـ،ـوـيـزـقـونـبـأـهـوـاـنـهـوـخـلـافـاـتـهـوـحـدـتـهـ،ـلـيـشـغـلـوـهـ
 بـالـتـنـاحـرـفـيـاـيـنـهـ،ـوـيـنـصـرـفـوـاـفـيـغـفـلـتـهـإـلـىـيـسـعـالـبـلـادـ:
 أـمـاـسـيـاسـرـةـالـبـلـادـفـعـصـبـةـ عـارـعـلـىـأـهـلـالـبـلـادـبـقاـوـهـاـ
 هـمـأـهـلـنـجـدـتـهـوـإـنـأـنـكـرـتـهـ وـهـمـ وـأـنـقـثـرـاغـمـ زـعـمـاءـ
 وـحـمـاتـهـ،ـوـبـهـمـيـتـخـرـاـبـهـ وـعـلـىـيـدـهـمـيـعـهـاـ وـشـرـأـوـهـاـ
 وـيـحـاـوـلـطـوـقـانـأـنـيـكـشـفـلـلـشـعـبـالـغـافـلـعـنـوـجـهـالـزـعـامـةـ
 وـخـيـانـاتـهـالـقـنـاعـ:

حـبـذاـلـوـيـصـومـمـنـاـزـعـيمـ
 لـاـيـصـمـعـنـطـعـامـهـ،ـفـيـفـلـسـطـيـهـ
 لـيـحـمـمـعـنـمـيـعـهـالـأـرـضـيـحـفـظـ
 مـثـلـ(ـغـنـديـ)ـعـسـيـيـفـدـصـيـاـمـهـ
 نـيـوتـ الزـعـيمـ لـوـلاـ طـعـامـهـ
 بـقـعـةـتـسـتـرـيـحـفـيـاـعـظـاـمـهـ!

ويصرخ طوقان في أذن الشعب يحذره من خيانات هؤلاء الزعماء ،
فالوطن قد ابْتَلَ بهم ، وهم عصابة من الدلاليين ، لا يخافون الله في وطنهم :
وطني مبتلي بعصبة دلا لين لا يتَّقُون فيه الله !
ولكن الشعب غافل نائم مأخوذ بمحاسن زعماه الحونه :

فإلى متى يا ابن البلا دِ وأنت تؤخذ بالمحاسن
وإلى متى زعماء قو مك يخلبونك بالكياسن
وابِكم أحطنا خاتنا منهم بهالات الفداسن
وكان طوقان يهز بصرخاته أصناماً حجرية لا تتحرك ، ولا تبالي
بمسائرها :

أمامك أيها العربي يوم تшиб هوله سود التواصي
وأنت كا عهدتك لاتبالي بغير مظاهر العبث الرخاص
مصيرك بات يمسه الأداني وسار حديثه بين الأقصاصي
فلا رحْب القصور غدا يلاق لساكنها ولا ضيق الخصاص
ولم يكن طوقان يخفى تشاومه ، وهو يرى الشقاق يمزق
وحدة الأمة ، فيعلن - والحسنة تدمي قلبه - يأسه من الخلاص :
والله لا يرجى الخلاص وأمركم فوضى وشلل العاملين مزق !
وهكذا أدى طوقاف رسالته الوطنية خير تأدبة ، فدعا
بصدق ، وحذر وأنذر ، وصور الاحلام وبكى الآلام ، ولم
يصنع المستعمرین ، ولم يجامِل زعيماً ، ولم يسكت عن خائن ، وخالف

في ديوانه قوله حق دامغة تفصل أسباب النكبة، وتحدد تبعة المسئولين،
فكان بكل ذلك شاعر النكبة الأول في هذا الدور، طغى بقوّة شاعريته،
وصدق وطنية، وعمق انفعالاته الشعرية ، على أكثر من عاصره من
شعراء النكبة ، ولعلَّ من رحمة الله بطوّقان أن يقبضه اليه ، فلا يتاح
له أن يشهد شيئاً من الدور الثاني من النكبة ، ولو عاش لرأى قومه
مشردين في كل أرض ، هائجين على وجوههم في الدروب المظلمة ،
وقد خالقوا وطنهم المقصوب نهباً لحفنة من شذاذ الآفاق ، وأسلموا
أنفسهم إلى البوس والحرمان والعراء ...

يجب ألا ننسى أن الشعراء العرب من كل قطر أسهموا في غناء
الدور الأول من النكبة ، ولكن شعراء فلسطين هم الذين نهضوا
بالحظ الباقي ، فكان صوتهم ينطلق من أرض النكبة ، يحيّي أحداها
ويرسم أبعادها ، ويستثير نخوة العرب في كل مكان ملديد العون إلى
هذا الجزء المنكوب من أرض العرب .

إلى جانب هذه الصورة التي رسّها طوقان للنكبة في دورها الأول
لابد من ابراز بعض الملامح المتميزة التي خطّها شعراء آخرون ،
وستفتصر على عدد منهم، يمثلون في غناء النكبة اتجاهات أو تيارات،
ويصدرون فيها عن مذاهب وعقائد يؤمنون بها ويدعون إليها .

كان ابراهيم طوقان سليل أسرة اقطاعية كبيرة في نابلس ، وعلى
الرغم من نفور الشاعر من الاقطاعية، ونضاله الدائب ليكسب لقمة عيشه

بكده طوال حياته ، فإن اللون الاشتراكي لم يصبح غناه القومي
لأحداث النكبة ، وهنا يأتي دور شاعر فلسطيني آخر كانت مأساة
بلاده تعيش في أعصابه الثائرة ، فتتدفق على فه شعراً يهدى بالألم
والقوة والرغبة في الاستشهاد .

ولد الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود عام ١٩١٣ في (عنبا)
بين نابلس وطولكرم ، من أسرة فلاحين تزرع الأرض وتمتحنها الجهد
والعرق ، ثم لا تفوز منها بغير العيش الكفاف ، ولهذا لم يستطع عبد
الرحيم محمود أن يزيد على تحصيله الثانوي في طولكرم ونابلس شيئاً ،
فترك الدراسة ليعمل شرطاً ثم معلماً ، وفي سنة ١٩٣٦ ألقى بنفسه في
أتون المعركة ، فطاردته السلطة ، فالتجأ إلى العراق فترة عاد بعدها إلى
فلسطين : وفي سنة ١٩٤٨ نجده متطوعاً في جيش الإنقاذ ، يخوض
المعارك ، ويستشهد في واحدة منها عند قرية الشجرة ، مخلفاً صبية ثلاثة
وزوجاً لم تستطع أعصابها أن تحمل الفاجعة ، فجنت لمقتله ..

هذه الخطوط السريعة من حياة الشاعر الثائر تتعكس في شعر
عبد الرحيم محمود ، فإذا هو بطل مغوار ، يحمل دوماً روحه على يده
ويقتحم غرات الموت غير هياب ولا وجل :

سأحمل روحي على راحتي وألقي بها في مهاوي الردى
فإما حياة تسر الصديق وإما ممات يغيط العدى
ونفس الشريف لها غaitان ورود المنايا ونيل المنى

لعمورك إني أرى مصرعي ولكن أغذ إاليه الخطأ
أرى مقتلي دون حقي السليب ودوف بلادي هو المتغنى
يلذ لأذني سماع الصليل ويهج نفسي مسيل الدما
وجسم تجندل في المعمعات تناوشـه جارحـات الفلا

• • •

بغـيـنـا فـي قـسـمـةـ الـأـرـزـاقـ نـاسـ
وـقـالـواـ إـنـ أـحـبـ اللـهـ عـبـدـأـ
دـعـونـاـ ،ـ إـنـ يـكـنـ هـذـاـ صـحـيـحاـ
لـقـدـ وـصـفـواـ إـلـهـ بـشـرـ ظـلـمـ

وهناك شاعر فلسطيني ثالث ، أسمه في غناء النكبة بدورها ،
وهواليوملاجئفيالإقليمالشمالي، ولايزال يواли إنشاد أغانيه
الحزينة الرائعة، يبث فيها شوقه للمهان إلى وطنه المغصوب .

ولد عبد الكريم الكرمي ، المعروف بأبي سلمى ، في طولكرم
عام ١٩٠٧ من أسرة شهرت بالعلم والوجاهة، فأبوه الشيخ سعيد الكرمي
كان من أعلام فلسطين ومن أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق ، وقد
أتيح لأبي سلمى أن يتم تحصيله الثانوي في دمشق قبل دراسته للحقوق
في القدس ، وعمل بعد ذلك حاماً في حيفا إلى سقوطها عام ١٩٤٨ ،
ففر منها إلى عكا ، ثم اختار دمشق دار إقامة له ، فعاد إلى البلد الذي
شهد من قبل ذكريات صباح ، ليعمل مدرساً في ثانوياته .

كان أبو سلمى يصدر في شعره ، في الدور الأول من النكبة ، عن
عقيدة يسارية حانقة ، تبكي في نفسه الثورة على أصحاب المال والسلطان ،
وأشهر شعره في هذا الدور قصيدة الدالية التي يهجو فيها ملوك العرب ،
ويندد بوقفهم المخزي الذي شل حركة الثورة الفلسطينية سنة ١٩٣٦ ،
وهذه القصيدة نموذج لشعر أبي سلمى التأثر الذي تأبى النسمة العارمة
أنفاسه ، ويؤجج الحقد قوافيه :

انشر على هب القصيد شکوى العبيد إلى العبيد
شکوى يردهما الزما ن غداً إلى أبد الأيد

قالوا : الملوك ! وإنهم لا يملكون سوى المهيدين^(١)
دَكَّت عروش زُيُّونَوْ هَا بالسلسل والقيود
سحقاً ملِّن لايعرفونَ ن سوى التعالَ بالوعود
وأذلهُم وعد اليهُو د ولا أذلَّ من اليهود

ومن حمم القصيدة اللاهبة يرسل أبو سلمى لعاته إلى الملوك، واحداً إثراً واحداً ، وفي مقدمتهم ابن السعود :

إني لأرسلها بِحَمَّا - جلة إلى الملك السعودي
ثم إلى صاحب عمان ، الملك عبد الله :

وأبو طلال في ربا عَمَّات يحَلُّ بالحدود
اقعد فلست أخا العلا والمجد وانعم بالقعود
المجد أن يحمى الرصان على المدى حمر البنود
واحكم على الشطرنج يد س على الفيالق والجنود

ثم إلى الإمام اليمني في عاصته السعيدة :

عرج على اليمن السعي د وليس باليمن السعيد
واذكر إماماً لا يزا ل يعيش في دنيا ثمود
ثم إلى بغداد والعرش الهاشمي فيها :

وابعطف على بغداد واز دب عرش هرون الرشيد

(١) - الحنظل .

حتى إذا جاء دور فاروق، ولحيته التي كان يرسلها يومذاك، ليضليل
بها شعبه ، صرخ الشاعر به :

دع سبحة التضليل واخ لع عنك كاذبة البرود
احسنت أن الملك بالله سليح يطلب والورود
وكان أبو سلمي يرى أن هذه اللعنات الفردية لا تشفى غيظه ،
فيimid يده بهذه الصفعة الجماعية :

إيه ملوك العرب لا
كنتم ملوکاً في الوجود
هل تشهدون محاكم الله
فتيش في العصر الجديد
قوموا اسمعوا من كلنا
حياة يصبح دم الشهيد
قوموا انظروا الأهلين يه
ن الوعد ضاعوا والوعيد
ما بين ملقى في السجون
أو بين أرملة تول ول أو يتيم أو قيد
قوموا انظروا الوطن الذي
ويلتفت أبو سلمي الى الشعب ، بعد أن نقض يديه من الطبقة
الحاكمة في البلاد العربية ، فيحاول أن يوقفه ، ويطالبه جهراً بالاتجاه
إلى اليساريه :

يا أيها الشعب الذي
مل أمنت من شر العثار
أنت الذي تهدي السيد
مل من اليمين الى اليسار
وبعد اليساريه تكون الثورة ويتم التحرير :

يامن يعزون الحمى ثوروا على الظلم الميد
بل حرروه من الملو ك وحرروه من العبيد

وفي هذا الدور اتجاه يمثّل في غناه النكبة ، كان أصحابه يؤمّنون
بأن السياسة الاستعمارية في فلسطين حرب صليبية جديدة ، ومن
يمثلون هذا الاتجاه الشاعر الإسلامي برهان الدين العبوشي ، وكان
لسان حال جمعية الشبان المسلمين في فاسطين ، ومن جيد شعره قوله في
قصيدة (الوطن المبيع) :

ما كان أجدر لويوت بغابه هفي على الليث المهدد غابه
إذا تحطم سيفه فالحر يدفع عن حاه بسيفه
جيش الذي بشيه وشبايه فانمش للموت الزؤام كما مشى

وهكذا كان شعر النكبة في دورها الأول ، على الرغم من
اختلاف مشارب قائليه، وتعدد التيارات التي يصدر عنها ، يدعو الشعب
دعوة واحدة إلى القوة والتعبئة والنضال ، لإنقاذ الوطن ، والصمود
 أمام الغزو الصهيوني والاستعمار الغربي .. كل ذلك قبل أن يقر التقسيم
 وتقع الكارثة العظمى .



الفصل الثالث

الدور الثاني : النكبة بعد قرار التقسيم

عندما أوصت اللجنة الانسكاو أمير كية بتقسيم فلسطين ، ضجع عربها وأرغبت الجامعة العربية وأزبدت ! وتبارت حكوماتها في إرسال برقيات الإنذار والتهديد ، وصدر قرار التقسيم ، والتقي مجلس الجامعة لدراسة الوضع الجديد ، واتهى إلى أن يوصي بإرسال جيش للإنقاذ إلى فلسطين من ثلاثة آلاف عربي متطوع ، بعد أن عرف أن لدى اليهود مالا يقل عن سبعين ألفاً من الجنديين المسلحين !

وتكونَ جيش الإنقاذ المأمول ، وكان خليطاً من أقلية مخلصة مستشهدة ، وأكثريّة مرتزقة لا هيبة ، وقيادة هزلية الخبرة والتنظيم والتجهيز والإيابان ! وعندما كان هذا الجيش يدخل فلسطين ، كانت الأسر

الفلسطينية الغنية تنزع الى مصر وسوريا ولبنان ؛ وتوالت الضربات على جيش الإنقاذ فشلت مافيه من قوة ، والدول العربية تظاهرة أمام شعوبها بالاستعداد والاستبسال ، ولم تقم بعمل عسكري حاسم ؛ وانتهز اليهود الفرصة فشنوا عدواً وحشياً مقصوداً على دير ياسين ، فانتهكوا الأعراض ، وذبحوا السكان ، ونجحوا في نشر الذعر والخوف ، وأصبح هم العربي في فلسطين أنت ينجو بنفسه وأهله ، وتدفقت أمواج اللاجئين على الضفة الغربية من الأردن ، والبلاد العربية المجاورة ، وبهذا السلاح الماحق من الرعب الجماعي وانهيار الأعصاب أجل اليهود العرب عن طبريا وحيفا ويافا وعشرات المدن والقرى ، حتى إذا أقبل الرابع عشر من أيار عام ١٩٤٨ ظهر للعالم أن المجتمع اليهودي في فلسطين أصبح دولة قائمة ، وأن المجتمع العربي فيها بدأ يلفظ أنفاسه ، ويتحول إلى قطعان مذعورة من الغرباء اللاجئين المائتين على الدروب ! أما الذين لم يبرحوا يقاومون ، فلم يكن لديهم من أمل سوى تدخل الجيوش العربية لاسترداد فلسطين !

عند ذلك أعلنت الدول العربية السبع ، وبضغط من شعوبها وحماستها ، الحرب على إسرائيل ، في الدقيقة الأولى من اليوم الخامس عشر من أيار ، ودخلت فلسطين بعض الفرق العسكرية العربية ، للقيام « بنزهة حرية » في الأرض المقدسة .

كان في رأس كل حاكم عربي هدف لا ينام له الليل ، ومطامع يأمل

أن يجنيها من وراء المعركة (الراحلة !) التي أمر جيش بلاده بأن
يخوضها :

أما فاروق فكان يريد أن يسترد احترام شعبه له ، بعد أن
فقده ببادله وسوء أخلاقه وتصرفاته ، ويريد أن يملاً جيشه بالأرباح
المستورة من صفقة الأسلحة الفاسدة ، ويريد أن يحتفظ بالزعامة في
الوطن العربي .

وأما ابن السعود فكان يريد أن يلهمي المطالبين بإلغاء
امتيازات الزيت الأميركي في بلاده ، ليظل ثمن زيت الله ينصب
(دولارات) لاحصر لها في جيشه العاصم ، ولن يضيره بعد ذلك أن
يرسل عدداً من البدو المسلحين للقتال مع الجيش المصري .

وأما عبد الله فكانت تلتمع في عينيه آمال نهمة ، فشوقة إلى ضم
الضفة الغربية بين ذراعيه شوق قديم ، وبيؤ كد العارفون أنه اجتمع
بنعماء اليهود ، ومن بينهم غولدا ماسيرسون (التي ستصبح وزيرة
للخارجية الإسرائيلية) واتفق معهم على قبول قرار التقسيم ، وتعهد
لهم بأن يقف الجيشان الأردني والعربي الواحافان على فلسطين عند
الحدود التي رسمها قرار التقسيم^(١) !

(١) تفصيل هذه الخيانة في كتاب (النكبة) لعارف العارف ج ١ ص ١٩٧ ، وفي مذكرات قائد القدس عبد الله التل صفحات سود أخرى تقص
بإسهاب أخبار هذه الخيانة وغيرها ...

وأما عبد الإله ، الوصي على العرش العراقي ، فكان يريد أن يدعم
آمال عمه عبد الله في توسيع رقعة عرشه الهاشمي ، وأن يتظاهر
للشعب العراقي بنصرة فلسطين ، بإرسال فرق من الجيش العراقي إلى
الأرض المقدسة !

وأما الإمام اليمني السعيد فلم يجد من شعبه حماسة واندفاعة ،
فاكتفى — أعزه الله — بالدعوات الصالحة بالنصر المؤزر للجيوش
الزاحفة !

وأما لبنان الجبل الأشم فلا يستطيع أن يختلف عن تمثيل
دوره السباعي في المسرحية الحرية ، وهو جار فلسطين المستغيبة !
وأما سوريا — أخيراً — فقد كانت مختلة فلسطين محك الوعي
القومي الناضج فيها ، وكانت القلوب المؤمنة تضطرم عزية وحماسة ،
ولكن الحماسة وحدها لاتكفي ، فالجيش السوري الباسل كان صغيراً ،
ابن ستين أو ثلاث ، تنقصه الكثرة والمعدات والأسلحة ، وإن لم
تنقصه الرغبة في التضحية والاستشهاد .

وهكذا زحفت الجيوش العربية على فلسطين ، ومر أسبوع
وأسبوع ، والجيوش العربية تقتضم ما أقرَّ التقسيم إبقاءه عريياً من
الأرض الشهيدة ، دون معارك تذكر ، ويؤكِّد العارفون أنه لو لا
هجوم سلاح الجو المصري على المراكز اليهودية ، وهجوم الجيش
السوري الفتى على سمخ واحتلاله مشمار هايردن ، لما كان في التمثيلية

الحرية مشهد جدي واحد يوهم الشعوب العربية أن القتال تدور
رحاه في فلسطين !

لقد كانت الجيوش العربية متفرقة متخاذلة ، قليلة العدد ، هزيلة
الخبرة ، يعوزها التدريب والتنظيم ، ولم تكن هذه الجيوش معدة
لخوض معارك حرية، بل كان أكثرها فرقاً أعدها الملوك لاستقبالاتهم
واحتفالات الأعياد ، والقيام (بالاستعراضات) في شوارع العواصم
العربية ! أما السلاح فكان فضلات عتيقة فاسدة ، خير ما فيها طيارات
لامدافع لها ، ومدافع لا قابل لها ، وقنابل لانفجر ! وعلى الجيوش
العربية أن تقاوم بهذه الأسلحة عدواً منظماً مدرباً ، قد عبأً جميع
قواته البشرية والمادية والعقلية والسياسية ، وفي يده أحدث الأسلحة
وأفتكها وأمضها !

لهذا كان على الدول العربية أن تقبل الهدنة الأولى لمدة شهر ،
وقد تكون اليهود خلاله من أن يعززوا قواهم ، والدول العربية تجتمع
حكوماتها المجرمة في مشاورات مسرحية لا طائل منها ، حتى إذا
عادت الحرب برب الخلاف بين العرب أنفسهم ، فاختالف الهاشميون
وغير الهاشميون في قضية تأليف حكومة فلسطينية ، وانسحب الجيش
الأردني من اللد والرملة ، وتبعه الجيش العراقي ، وخلال الميدان بذلك
أمام القوات الإسرائيلية ، فتقدمت واحتلت عدة مدن ومئات القرى ،
ومساحات واسعة من الأرض العربية ، وهرب السكان العرب هائلين

على وجوههم ، وقد باغتهم العدو في دورهم ، وتفرقوا مذعورين ،
يطلبون النجاة بأنفسهم ، وخلفوا في أرضهم كل ما يملكون ، وأقبلوا
يلتجئون إلى المناطق العربية ، بثيابهم التي على أجسادهم ، وازداد عدد
اللاجئين عشرات الآلاف !

ازداد صوت الدول العربية ضعفاً بتفرق كلة حكوماتها ،
واضطرت إلى قبول قرار مجلس الأمن بوقف القتال بعد عشرة أيام
من استئنافه . . .

وتفاقم الخلاف بين الحكومات العربية ، فقررت الجامعة العربية
إنشاء حكومة عموم فلسطين في غزة ، لتفق أمام أطاع الملك عبد
الله ، وأجاب هذا على قرار مجلس الجامعة بضم الضفة الغربية من
الأردن إلى الشرقية ، وأعلن وحدة المملكة الأردنية العتيدة ! وبذلك
فاز عبد الله من الغنية بنصيب الأسد !

ومضت أيام الهدنة الثانية ، والحكومات العربية سادرة في تناحرها
وشقاقيها ، واغتتم اليهود الفرصة ، فجمعوا قواهم وهاجموا بها الجيش
المصري ، واستولوا على النقب ، وتمكنوا من محاصرة فرقه كبيرة
من الجيش المصري في الفالوجة .

وفي خندق من خنادق الفالوجة المحاصرة كانت ضابط مصرى
شجاع يربض مع حفنة مؤمنة من جنوده : في عينيه العميقتين ومضات
العزم ، وفي قلبه الكبير تتوهج الشعلة المقدسة ، ذلك لأنه أدرك بعمقٍ

ذاته ، ووعى بدقة طبيعة النكبة منذ أبعد أدوارها ؛ ومن قلب هذا الضابط المصري المحاصر في الفالوجة ستنطلق الشرارة المنقذة ، فتطيع بالعروش وتحطم أذنابها ، وثور لكرامة الأمة العربية المهدورة ، ولجيوشها التي غرر بها لإرضاء النزوات والأطامع .

يقول الرئيس جمال عبد الناصر في رسالته «فلسفة الثورة» وهو يتحدث عن بذور الثورة في نفسه ، محدداً دور النكبة والمحاصرة في الفالوجة في تفجير براكين الثورة في قلبه : «لم ألتقي في فلسطين بالأصدقاء الذين شاركوا في العمل من أجل مصر ، وإنما التقى أيضاً بالأفكار التي أثارت أمامي السبيل .. وأنا أذكر أيام كنت أجلس في الخنادق وأسرح بذهني إلى مشاكلنا : كانت الفالوجة محاصرة ، وكان تركيز العدو عليها ضرباً بالمدافع والطيران تركيزاً هائلاً مروعاً ، وكثيراً ما قلت لنفسي : هانحن أولاء هنا في هذه الجحور محاصرون ، لقد غُرّر بنا ، دفعنا إلى معركة لم نعد لها ، لقد لعبت بأقدارنا مطامع ومؤامرات وشهوات ، وتركنا هنا تحت النيران بغير سلاح ! وحين كنت أصل إلى هذا الحد من تفكيري ، كنت أجده خواطري تقفز فجأة عبر ميادين القتال ، وعبر الحدود إلى مصر ، وأقول لنفسي : هذا هو وطننا هناك ، إنه «فالوجة» أخرى على نطاق كبير ! ... »

وهنا كان موقف الحكومات العربية حرجاً أمام شعوبها ، فراحت

تخدع الجماهير لتخفي عنها الحقيقة السوداء ، وتريها الهزيمة نصر أو العار
مجداً والذل فخرأ ! ثم بدأت هذه الحكومات ، صاغرة ذليلة ، تعقد
الهدنة مع اسرائيل ، حكومة بعد أخرى ، وتخدع شعوبها بالتهديد
بالجولة الثانية ، وراحت كل دولة تتنصل من جريمتها ، وتحمل
الأخرى مسؤولية النكبة والانكسار والهزيمة ، وتأمل أن ينسى
التاريخ والضمير العربي جنائية الحكام ودورهم القذر في كارثة العرب
القومية العظمى .

★ ★

الفصل الرابع

شعر النكبة في الدور الثاني

لئن كانت نكبة فلسطين أعنف تجربة فاسدتها الأمة العربية في العصر الحديث ، فإنها أيضاً أعظم تجربة يعانيها الأدب العربي المعاصر ، ذلك أن النكبة قدمت لكل كاتب وشاعر ، من مأساتها وويلاتها وأهواها ، مادة لقول لا تنتهي ، و كيف تنتهي و مليون من المشردين اللاجئين لا يزالون إلى اليوم هائمين على وجوههم ، غرباء بائسين ، تروى وجوههم الشاحبة ونظراتهم اليابسة ، قصة النكبة وأحداثها ، وتشكو أجسامهم المعلولة برد الكهوف والخيام البالية ! بل كيف تنتهي والقزم اليهودي لا يخفى مطامعه النابحة لتحقيق خريطة التوراة : « وهبتك يا إسرائيل مابين دجلة والنيل ! .. »

لقد كان حظ الشعر في غناء النكبة في دورها الثاني ضخماً حقاً ،

فما من شاعر في العالم العربي كله لم تدفعه ربه شعره الى بكاء الكارثة العربية في فلسطين ، فدلل الشعر بذلك على أن النكبة الفلسطينية ليست إقليمية محدودة ضيقة ، بل هي كارثة قومية هزت الضمير العربي في كل مكان من أرض العرب ، وهاجت وجداً في الشاعر ، فانطلق الغناء من كل فم ، ولهذا لم يكن باستطاعتنا أن نعرض لكل شاعر أسمهم في القول في النكبة ، وحسب دراستنا أن تظل بحثاً تخطيطياً يعرض الخطوط الكبرى في النكبة ، ويرسم بإيجاز أصداءها في الشعر العربي المعاصر .

يبدأ العرض الشعري المتسلسل لشاهد النكبة في دورها الثاني منذ اليوم الخامس عشر من أيار سنة ١٩٤٨ ، ولهذا اليوم البغيض ذكريات سود عند شعراً النكبة ، وهذه صرخة واحد منهم ، هو الشاعر عيسى الناعوري ، يرسلها لاعنة ذلك اليوم الأسود ، معدداً ضحاياه ، مندداً بأهواه :

ضر وأسوأ الأيام ذكرى	يالعنزةِ الزمنِ البغي
رُتْمِيَّهَا الأَيَّامُ قَهْرًا	هذِيَ ضَحْيَاكَ الْكَثَا
وتلوكَ مسغبةَ وصبراً	تَقْضِيُّ الْحَيَاةَ عَلَى الطَّوْيِ
لَوْأَبْعَضِ الأَيَّامِ طُرَاً	يَاصُورَةَ الْجَبَنِ الْأَذِ
صار اتخاءَ الْعُرُبِ غَدْرَا	لَا كُنْتَ مِنْ يَوْمٍ بِهِ

وكرامة الشعب العربي بق هدرتها، ومضيت، هدرا
ومنذ ذلك اليوم الأسود البغيض بدأت «المذلة العربية» كايسميها
بحقِّ الشاعرِ الفلسطيني محمود الحوت ، فقد أطبقت الدول السبع على
فلسطين ،لتطرد منها العصابات الصهيونية ، وتلقي بها في البحر ،ولكنها
طردت عرب فلسطين وشردتهم من ديارهم لتقدمها سكناً للمعتدين
الآثمين . يقول محمود الحوت :

أُطبق «السبع» إطباقي آخر جها
وتسكن المعتدي أزهى مغانيها
فهل سمعت بحربِ كالي نكبوا
لقد عادت الجيوش العربية من فلسطين ، بعد نجاح «المسرحية
الخالية» كما يصورها الشاعر خليل زقطان :

وهنا انظري تلك الجيوش السبع والعُدد القويه
أمت ميادين النضال تصوّل كاذبة الحميه
وتراجعت من بعدها ضفت نجاح المسرحيه
وكان لتراجع تلك الجيوش السبعة أمام عصابات اليهود صدى
ساخر ، وظهرت صحف أوربا يومذاك ، وفي بعض المزارات وخرارات
لجيوش «الأصفار السبعة» كما سمتها ، وفي ذلك يقول زقطان نفسه
ويحق له أن يسخر ويتهكم :

جيوش السبعه الأصغار كلٌّ تراجع حاملاً غار القيود
 يزفُّ لحاکية نجاحٍ كيدٍ رماکٍ بكلٍّ قتالٍ ميدٍ
 و بتراجع الجيوش العربية أخذت أمواج اللاجئين تتدفق على
 البلاد العربية المجاورة ، وكانت الشعوب لاتزال حتى ذلك اليوم
 مخدوعة بهاذل حكامها ، فضلت أن هؤلاء اللاجئين هاربون من
 المعركة والتضحية والاستشهاد ، وأساء بعضها استقباهم ، واتهمهم
 بعض " بالخيانة والجبن ، فرد الشعراه الفلسطينيون هذه التهمة ، وهذا
 أحدهم ، الشاعر محمد العدناني ، يلتجأ إلى الزرقاء في شرق الأردن، فيجد
 من أهلها من يتهمه بالهرب ويعيره بالخوف ، فيرد عليه معاذباً ، مبييناً
 لكل مخدوع أن عرب فلسطين وقفوا وحدهم ثلاثين عاماً يصدون
 عدوين غادرينهما الصهيونية والاستعمار ، وكانوا خلال ذلك للأمة
 العربية درعاً واقية ، حتى عجزوا فاستغاثوا ، فأغاثتهم الخيانة :

ألوماً على ما نابنا من مصابٍ ولم نجرح إثماً ولم نقترف ذنباً
 وكنا لكم درعاً تقيكم عصابةٍ تزفُّ الأسى والشرَّ والهول والجدبَا
 وُذدناهمْ عنكم ثلاثين حجةٍ بعزمٍ حاًشمَّ المعاقل والهضبَا
 ونحن صمدنا للعدوين وحدنا صموداً أثار الكون قاطبةً عجباً
 هممتُ بلوم العرب لوماً مُدوِّياً على ما بدا منهم فردتني القربي
 ولكن الشاعر عيسى الناعوري كان تألمه من التهمة أعمق من أن

تردَّهُ الْقُرْبَى ، فَقَذَفَ بِالْاَتَّهَامِ فِي وَجْهِ اَصْحَابِهِ ، وَرَاحَ يَفْضُحُ زَمْرَ
الْخِيَانَةِ وَالْعَدْرَ :

كَذِبُوا فَكُمْ جَاهَدْتُ قَبْلُ وَحِيدَةَ
خَصْمِينِ جَبَارِينِ ، دُونَ وَنَاءِ
حَقْبٌ طَوَالُ لَمْ تَهُنْ لَكَ عَزْمَةَ
فِيهَا وَلَمْ تَرْضِيْ بِالْاسْتِخْدَاءِ
شَهَدَتْ لَكَ الْأَيَّامُ وَاعْتَرَفَ الْعَدُوِّ
بِطْوَلَةِ جَبَارَةِ شَهَاءِ
إِنْ كَانَ ذَاكَ خِيَانَةً يَا جَبَذا
لَوْ عَشْتَ خَاتَّةَ بِلَا نُصْرَاءَ
هُمْ أَسْلَمُوكُمْ إِلَى الْعَدُوِّ فَرَغُوا
بِالْعَارِ كُلَّ كَرَامَةِ وَإِباءِ
بِذَلَّةِ لَاتَّهِي نَكْرَاءَ
بِلْ مَرْغُوا تَارِيخُ يَعْرَبِ كَلَّهِ
عَاشَ الْبَعْوَضُ عَلَى الْخِيَانَةِ مَثَلًا
زَمْرَ تَعِيشُ عَلَى الْخِيَانَةِ مَثَلًا

وَفِي طَلِيعَةِ زَمْرَ الْخِيَانَةِ تَجْبِيْءُ زَمْرَةِ الْمُلُوكِ وَالْحَكَامِ وَالرَّؤْسَاءِ ،
وَقَلْ أَنْ نَجِدَ بَيْنَ شُعَرَاءِ النَّكَبَةِ مَنْ لَمْ يَرْجِمُهُمْ بِحَجَرٍ ، وَلَكِنْ أَبَاسَهُمْ
يَفْوَقُ فِي هَذَا الْمَحَالِ سَائِرَ شُعَرَاءِ النَّكَبَةِ وَيُسْبِقُهُمْ :

يَارَفَاقَ الدَّهْرِ هَلْ شَرَدْكُمْ فِي الْوَرَى غَدَرُ عَدُوِّ أَمْ مُحَبِّ
زَعْمَاءَ دَنَسُوا تَارِيَخَكُمْ وَمُلُوكُ شَرَدْكُمْ دَوْتَ ذَنْبَ
وَجَيُوشُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا سَلَمَتْ أَوْطَانَكُمْ مِنْ غَيْرِ حَرْبَ
دُولَ تَحْسِبُهَا شَرِيقَةَ وَإِذَا أَمْعَنْتَ فَالْحَكَمَ غَرَبِيَّ
وَلَقَدْ رَأَيْنَا مِنْذَ الدُّورِ الْأَوَّلِ لِلنَّكَبَةِ نَقْمَةَ أَبِي سَلَمَى عَلَى الْمُلُوكِ
وَخِيَانَاتِهِمْ ، وَمِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنْ تَزَدَّادَ نَقْمَتَهُ فِي هَذَا الدُّورِ عَلَيْهِمْ حَدَّةٌ

وعنفاً ، بعد أن بدت لكل ذي عين خيانة الملوك وأصحاب العروش
عارية سافرة ، فإذا هم أذناب حقيرة للمستعمر ، يتنافسون في
مرضاته ، ويتهمون بالخيانة :

أذناب المستعمر ملوك ؟ أملوك وهم مطاييا الأعداء
يتبارون بالخيانة تباهيا يالبيه الجنة بالأصفاد !
وليس بينهم ملك صاحب عزة وكرامة ورجلولة ، بل كلهم
أذلاء ، باعوا فلسطين دون أن ترتعش ضمائركم هول جرميكم :

قال الملوك غداً نحمي دياركم ليت الأذلاء ما قالوا وما فعلوا
وعلمونا بساح المجد ننزلها إذا هم ساعنة الجلى هم العلل
قالوا الكرامة ، قلنا أين صاحبها ؟ قالوا : الرجلولة ، قلنا : أيهم رجل
باعوا فلسطين فلتنه ضمائركم أما تراها على (الدولار) تشتعل
لقد ذل ملوك العرب حتى ليألف العار ، ذات العار ، من أن
ينتسب اليهم :

أملوك ! وهم إذا نسب العار إليهم أبي انتساباً معينا
وهكذا وفي أبو سالمي خيانات الملوك حقها من التشير ، ولكنه
كان يختص الملك عبد الله من بين الملوك بالضربة الحادة :

خيانات الملوك وذل عرش أقيم على الخيانة والخراب
سعدنا في البلاد وحين سادوا غدت مرعى الثعالب والذئاب

ولقد شن شعراً النكبة حملات عنيفة أيضاً على الجامعة العربية ودولها ، فكشفوا القناع عن وجه الجامعة ، وأظهروها عارية أمام الشعوب العربية المخدوعة بمهمازها ، فإذا هي ريبة الاستعمار ، ولدت في حجر الانكليز ، ورضعت من أثداء المستعمرون ، فلما نمت واستوت غدت مطيةً ذلولاً له ، ودمية طيعة بين يديه ، يحر كها كا يشاء.

يقول أبو سلمى :

لنا دول ليتها لم تكن مطايا وأذناب مستعمرين
وجامعة لم تزل دمية يخف إليها الرجيم اللعين

وهاجم شعراً النكبة كلهم بضراوة الاستعمار والمستعمرين ، لأن الاستعمار من أهم عوامل النكبة ، فيبين الاستعمار وأسرائيل رابطة لاتفصم ، فالاستعمار يسخر أسرائيل ، فيجعل منها قاعدة لكل عدوان منه على العالم العربي ، ويتخذ منها خليلاً لضرب كل حركة قومية واستقلالية في بلاد العرب ، والصهيونية العالمية تسخر الاستعمار بدورها لحماية أسرائيل ، فتحطم أسرائيل إذا لا يتم إلا بالقضاء على الاستعمار الذي يستغلها ويحميها ، وهذا يثور شعر النكبة على الاستعمار وأذنابه ، ويحمل الدول المستعمرة مسئولية النكبة .

يقول الشاعر هارون هاشم رشيد :

لولا خداع الانكليز وغدرهم ما عاث في أرض الأسود كلاب

والغرب ! يا للغرب إن قدومه نحو البلاد مصيبة وخراب
هو أخطبوط فاجر مستعمر في كل ناحية له أذناب
ويقول الشاعر خليل زقطان :

هي خطأ وحشية لا ترقى
الغرب واضعها وقومك طبقوا
سنظل أشباه العبيد يضلنا
هذا «الخليف» بفنه ويفرق

وشعر النكبة يدمي القلب وييكي العين حقاً عندما يقف أمام خيام اللاجئين ، ليقص قصة العربي التائه ! لقد انتهى دور اليهودي التائه منذ أصبح له في إسرائيل وطن قومي يحميه ، وبيت يظله ويؤويه ، وأرض تطعمه من خيراتها وتغنيه ، وهام العربي على وجهه ، بلا وطن ولا بيت ولا أرض ، يلوب في الدروب ، حافياً عارياً جائعاً ، ذليل الصوت كسير النفس والقلب ، ينتظر من الشعوب فضلات الإحسان ليسد بها رمقه ، وهو الذي خالف في وطنه السليب مئات الملايين من الجنسيات ! .. حتى إذا أقبل الليل ، أوى إلى تلك الخيمة السوداء التي أصبحت رمزاً كريهاً للنكبة .. وهذه الخيمة صدقة غير كريمة من الدول الشقيقة التي أسهمت في النكبة وتشريد اللاجئين ، وهي ترجو من وراء هذه الصدقة أن تخدر الشعور العربي وتبسله ، وأن تنسى المصابين هول الكارثة ، والعار كل العار أن تقبل الأمة العربية هذه الصدقة ، وما يتبعها من وكالة الإغاثة ، وبلاد العرب تسجد فوق

بحر زاخر من الزيت ، وهذا الزيت مال الله ، يملكه الشعب العربي ،
وليس لفرد — من كان — أن يحتاجه أو يدعى ملكه ! فلنشتر ببعضه
بؤس اللاجئين ، ولننسع به دموع المنكوبين ! « إن زيت الحجاز
والعراق والكويت - كما يقول الأستاذ نقولا الحداد - ليس لأهل الحجاز
ولا لأهل العراق ولا لأهل الكويت ، إنما هو ملك الله ، لأنهم لم
يزرعوه حتى يستغلوه ، ولا صنعواه حتى يتاجروا به ، فيجب أن
يدفعوا ضريبة ثقيلة عليه لله ! » .

ولكن كيف نأمل أن تدفع مثل هذه الضريبة ، والجيوب الشحيحة
التي تكنز (دولارات) الزيت ، لا يرى أصحابها بؤس اللاجئين ،
ولا يدركون هول الكبة ، وهم لو كانوا أدر كوا فأحسوا فاتخوا
من الدنية لبذلوا وضحوا ، يوم كان قرار التقسيم يلغيه عود ثقاب !
عود كبريت صغير يحرق آبار الزيت ، وينسف منشأته ، ويذك
مصالح المستعمرين ، ويجعلهم يجثون على الركب ، ويطيلون التفكير
قبل أن يزرعوا الدمل الاسرائيلي في قلب العرب .. لقد كان عود
الكبريت الذي كنا نملكه آنذاك يعنيانا عن السلاح والعتاد الذي لم
نكن آنذاك نملكه ، ولكن المتسطلين على الزيت آثروا أن
يعلنوا بلسان ابن سعود عام ١٩٤٧ : « أن فلسطين عزيزة عليه ، وأنها
بؤء عينيه ، وأنه لا يرضي لها إلا ما يرضاه لنفسه » ، فلما جدَّ الجد
وصاحت فلسطين المستغيبة « وامعتصماه ! » أصمَّ أصحاب النخوة

الكاذبة آذانهم، وضموا جيوبهم على ملايين (الدولارات) من دخل
الزيت، ووقفوا يحرسون صراحتهم من نعمة الشعب، ليوافوا بالتزاماتهم !!
وأعلنوا في مجلس الجامعة العربية سنة ١٩٤٨ بسان الشيخ يوسف ياسين
«أن اليهود أغنياء وأقوىاء وأذكياء ، وان العرب — خسئت كلمة
نخرج من أفواههم ! — لا طاقة لهم بحرب اليهود ، لأنهم فقراء
وضعفاء !... » و ... وكان عليه أن يقول : وأغبياء ! ولهذا كان
لابد للنكبة من أن تدمر فلسطين ، وأن تنطلق لعنة الأجيال من فم
شاعرنا الكبير عمر أبي ريشة ، تصفع قادة العرب وتخاذلهم :

ودعي القادة في أهواها تتفاني في خسيس المغم
رب (وامتصاصه) انطلقت ملء أفواه الصيايا اليمتم
لامست أسماعهم لكنها لم تلامس نخوة المعتصم
ولهذا كان لابد لأهل فلسطين من أن يهيموا على وجوههم
متشرّدين، بين نازح وطريد ، كما يقول الشاعر حبي الدين الحاج عيسى:
وطنٌ تزق قاطنه وُسرِدوا فبكل أرضٍ نازحٌ وطريدٌ
نزحوا وخلوا جازعين ديارهم ولهם هنالك مطرف وتليد
قد حازها أعداؤهم وتجردوا منها كما يتجرد العنقود
ووصلَ العربي الشريد في الآفاق ، كايصوره الشاعر محمود المحوت:
وراح يضرب في الأرض العراءُ ضحي

ويقطع اليمْ محورَ المدى وجفا

— ٤٩ —

فلا يرى في اتساع الكون من عبر
 إلا الضنى واحتناق الروح والتلfa
 أما إذا أردت وجه الليل يفزعه
 وجدته بالغيوم السود ملتحفا
 والجوع ينهش من أكباده قطعا
 وينثني من دماء القلب مرتشفا
 تقاذقه بلاد الله يذرعها
 مشرداً ضلاًّ ، لا نهجاً ولا هدفاً
 وأصبح الفلسطيني المشرد يُسأل في كل مكان : « من أين أنت ؟ »
 وهذا الشاعر بشير قبطي يُسأل فيجيب :
 من أين أنت ؟ وزجرت كلماته في مسمعيَّا .

. . .

أنا من ربا يafa ، من الشط المرصع باللآلِي

. . .

أنا من تلال الرملة البيضاء ذهبها الأصيل
 من سفح غزة ، من ربع اللد ، تحضنها السهول
 من روض حيفا ، روض كرمها ، تلذ به الشمول
 من دوح يafa ، من عروس الشرق ، أسكرها الهديل
 أنا من ضلوع القدس ، شر حها بيضعه الدخيل

أنا من معين الثأر ، من ثغر الأعاصير الغضاب
أنا من فلسطين التي انتفضت على قصف الحراب
قد ضلل الدخلاء شعباً جاهلاً غض الإهاب
فيها فباتت عرينها مليئاً فسيحاً للذتاب
وعلى أيادي الساسة (التجاء) قد فرضوا اغترابي
ويحيب شاعر مشرد آخر ، هو هارون هاشم رشيد :
أنا لاجيء ، وطني استريح وداسه غدر العدى
أنا نازح ، داري هناك وكرمي والمنتدى
وطني هناك ولن أظلّ بغيره متشرداً
لي موعد في وطني ، هيهات أنسى الموعداً
ويحيب شاعر مشرد ثالث هو يوسف الخطيب :

أنا لاجيء يا مصر أضرب في الحياة بلا دليل
أنا لاجيء يا مصر أمسح في الثرى جرحى الكليل
داري هناك خلف أسوار المهزية والعويل
داري هناك في الهوان تئن من قدم الدخيل

وعند خيام اللاجئين تلاقى شعراء النكبة ، ومن الشقاء الرابغ
في الخيام السود استعاروا مادتهم الشعرية ، واستوحو أسماء دواوينهم
فسمى أبو سلمى ديوانه الأول « مشرد » وأهداه « إلى أخيه الفلسطيني

البشر دتحت كل كوكب ، ومن وحي جوع سكان الخيام استعار
خليل زقطان اسم ديوانه « صوت الجياع » وأهداه إلى المشردين في
أنحاء الأرض ، ومن أجل اللاجئين أرسل هارون هاشم رشيد الحان
ديوانه الباكيه « مع الغرباء » وأهداه إليهم :

إليهم ، إلى إخوتي اللاجئين إلى إخوتي يوم يدعوا الدم
إليهم وإن سكنوا في الكهوف فوق روابي الأسى خيموا
إليهم سأشدو بشعر الحياة ومنهم بروحه سأستلهم
وقد وفى هذا الشاعر بما وعد ، فأصدر ديوانه الثاني من وحي
هؤلاء الغرباء وعزيمتهم وسماه « عودة الغرباء » ، كاسمي يوسف الخطيب
ديوانه الثاني « عائدون » ، وباسم واحد من هؤلاء الغرباء ، أنشد
 محمود الخطوت « أناشيد عربي من فلسطين ضل في الآفاق » وأسماها
« المهزلة العربية » ، ومنذ تمثيل هذه المهزلة إلى اليوم يندر أن تخلو مجلة
عربية دورية من تردید صرخة شعرية تشكو إلى كل ضمير بؤس
اللاجئين ، وهي تنبئ من كل قطر من أقطار العرب ، كما يندر أن
نجد شاعراً عربياً لم يتحقق قلبه لآلام اللاجئين وعريهم وجوعهم ، فهذا
كاظم جواد يرسل من العراق هذا التساؤل الحزين :

أحسّر جات الثأر ما أحسّ في الخيام . . .
أم رَجَعُ موسيقى الجراح يوقف النيام . . .
في ظلمة الملاجيء الدكاء والخيام

وهذا صوت عبد الوهاب البياتي ينطلق من «الملاجأ العشرين»
يقص في ألم حزين قصة القلوب الملتاعة التي تنتظر أنباء البريد ، متربة
طوال الليل ، وقد أنهكها الفراغ واستبدت بها الوحشة :
كفراغ أيام الجنود العائدين من القتال
وكوحشة المصدور في ليل السعال
كانت أغانينا ، وَكُنَا هائمين بلا ظلال
متربين ، الليل ، أنباء البريد :
«الملاجأ العشرون» :
ما زلنا بخير ، والعياں
— والقمل ، الموتى — يخسون الأقارب بالسلام
والذكريات ، الفجأة الشوھاء تعبّر ، والخيام
والريح ، والغد ، والظلام
كوجوهنا غب الرحيل :
«أمام ما زلنا بخير» والذئاب
تعوي وتعوي عبر صحراء الشهاد :
يا إخوتي من أين نبدأ ؟ من هنا ! «ليل السعال»
وبريدنا الباقي المعاد :
«لا شيء يذكر ، لم تزل (يافا) وما زال الرفاق
تحت الجسور ، وفوق أعمدة الضياء

ولم يزل دمنا المراق
على حوانطها القديمة ، واللصوص
وحقولنا الجرداء يغزوها الجراد » ...

...

(يافا) نعودُ غداً إليك مع الحصاد
ومع السنونو والربيع
ومع الرفاق العائدين من المنافي والسجون
ومع الضحى والقبرات
والأمهات !
« الملجم العشرون :
مازلنا بخير ، والعوال
والإخوة المتردون
من قبونا الثاني يخضون الأقارب بالسلام ،
ومن الإقام الشهالي ، تتحدث إحدى الخيام الباكرة بلسان الدكتور
بديع حقي ، فإذا « الخيمة الباكرة » قلب راعش ، رغيب الجراح ،
تلطم العواصف ، وتسفعه الرياح الغاضبة ، فتثير آلامه وتهيج أحزانه ،
فيكف عن جراحه ، ويعاود الأنين والبكاء :
« وأبكي أنا ...
ويتحقق قلبي لطيف دنا ،

إلي هفا ... وانحنى

ليمسح جرجي بنور كثيب .

وتهدر ، في الليل ، دير غضوب ،

وابكي أنا

لو وجه حزين إلي رنا ،

ويتمد خيط يابره

ويرفو جراحى بأنفاس مجره

ولكن ، تجادب جلدي ، وتسفع خدي ،

عواصف تلعب في المنحنى ،

فيرفض جرح ، بصدرى ، رغيب ،

ندي ، طري ، خضيب ،

وأنحب ، وحدى ،

وأندب حلول المنى ...

وابكي أنا ...

وأمام خيمة باكية أخرى من خيام اللاجئين في الأردن ، يقف

الشاعر كمال ناصر ليقطط لها هذه الصورة الحية : خيمة مذعورة مصلوبة

حيرى ، يعوي فيها الفراغ ، ويحف بها الذل والهم والعذاب :

مذعورة ، على رحاب المكان مصلوبة ، منسية في الزمان

حيرى على أوهامها في المدى لاحب في سمائها ، لاحنان

مشدودة في الأرض معصوبة
كأنما شدت بأيدي الموان
النارُ في أرجائها أُخمدت وفي زواياها تلاشى الدخان
يعوي بها فراغها طاوياً في مقلتيه الكبر والعنفوان
والهم من يأس بها مطرق يحصي عليها في العذاب الثوان
وإذا أقبل الليل ، فقطى بحلكة ظلامه خيام اللاجئين ، وضمت
كل لاجئة فراخها تزيد النوم ، صرخ محى الدين فارس من
الإقليم الجنوبي :

« لا .. لا تسامي ..

الليلُ أوغل لاتسامي ..

خلف الخيام قطيعُ ذوبانِ ظواهي ..
الريحُ أطفأَت السراج ، وقهرت خلف الخيامِ
وفراخُك الرُّغب الصغار تراعشت مثلَ الحمامِ
وتكونت فوق الحصير .. تكونت مثلَ الخطامِ
ناموا على جوعٍ فاعرفوا هنا طيف ابتسام ... »

وعلى الضفة الغريه من الأردن ، تتناثر خيام اللاجئين ، وأمام
واحدة منها تقبع لاجئة حزينة ، مثل تمثال شقي ، لاتشارك الناس
مباهج العيد فتناجيها الشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان :

وأراك ما بين الخيام قبعت تمثلاً شقياً
متهالكاً يطوي وراء هموده الماء عيناً

أُتْرِي ذَكْرٌ مِبَاهِجِ الأَعِيادِ فِي (يافا) الْجَمِيلِهُ
 أَهْفَتْ بِقَلْبِكِ ذَكْرِيَاتِ العِيدِ أَيَامَ الْطَفُولَهِ
 إِذْ أَنْتِ كَالْحَسُونِ تَنْطَلِقِينِ فِي زَهْوِ غَرِيرِ
 وَالْعَقْدَةِ الْحَمَراءِ قَدْ رَفَتْ عَلَى الرَّأْسِ النَّصِيرِ
 وَالشِّعْرُ مَنْسَدِلٌ عَلَى الْكَتْفَيْنِ مَحْلُولُ الْجَدِيلَهِ !

وَكَيْفَ تَضْحِيكِ الْلَّاجِئَهُ لِلْعِيدِ ، وَتَشَارِكُ فِي مِبَاهِجِهِ وَأَفْرَاحِهِ ،
 وَالْعِيدُ قَدْ ضَيْعَ — كَمَا يَقُولُ عِيسَى النَّاعُورِي — مِنْذَ النَّكَبَهِ مَعْنَاهُ :
 عِيدٌ فَلَاسْطِينَا إِحْدَى هَدَايَاهُ أَضْحَى ! وَلَكُنَّا كَبْرَى ضَحَايَاهُ
 لَا بِهِجَهَ تَجْلِي فِي مَظَاهِرِهِ أَوْ فَرَحَهَ تَبَدِي فِي ثَنَاهِيهِ
 وَكَيْفَ يَفْرَحُ شَعْبُ بَاتِ مَوْطَنهِ نَهْبَا لَدِيْ عَصَبَهِ مِنْ شَرِّ أَعْدَاهُ
 شَعْبُ تَشْرِدُ ، لَا قَطْرَ يَهْسِلُهُ وَلَا أَخْ يُرْتَجِي فِي دَفْعِ بَلَوَاهِ
 قَدْمَاتِ مَنْ كَانَتِ الْأَعِيادُ تُبَهْجُهُمْ وَضَيْعَ العِيدِ مِنْ عَامِينِ مَعْنَاهُ
 وَهَذَا يُقْبِلُ العِيدُ عَلَى شَعْرِ النَّكَبَهِ لِيَنْكَأُ فِيهِ الْجَرَاحُ وَاللَّوْعَهُ ،
 وَيُزِيدُ فِي إِضْرَامِ أَحْزَانِ الْمُشَرِّدِينَ وَآلَاهُمْ ، فَيَذْكُرُونَ بِهِ ذَلْهُمْ وَبُؤْسِهِمْ
 وَعُرَيْهِمْ ، كَمَا يَقُولُ خَلِيلُ زَقْطَانَ :

عِيدٌ وَلَكَنْ يَا أَخِيهُ عِيدٌ مَوَاكِبِهِ شَقِيهُ
 أَبْصَرَتْ فِيهِ الْكَبْرِيَا تَلُوحُ كَاسْفَهَ حَيَهُ
 وَعَلَى حَيَاهَا جَرَا حَذَلْ تَجَهَرُ بِالرَّزِيَهُ

أني اتجهت فصورة || آلام واضحة جليه
 والشعب يرمح في ظلا || ل المؤس في الحال الوريه
 خدعوه إذ قالوا العرو || به لاتنام عن القضيه
 وتسابقو فعلام؟؟ يا || تاربخ قل عني البقيه

وليس عجياً أن يعكس شعر النكبة إثر الكارثة حزن المشردين
 وحيرتهم وقلفهم النفسي وحقدتهم ونقمتهم اللاهبة ، وأن تتفجر الثورة
 كالنار من تلك « العيون الضاء للنور » بعد أن ضاع فردوسها وضاع
 جحيمها ، وأصبحت لا تعرف إيمانها من كفرها ؛ وفي شعر يوسف
 الخطيب ملامح واضحة لصورة فئة من جيل النكبة ، فئة متقدمة شاعرة
 لم تحمل أعصابها عنف الكارثة وأهوالها ، فقدت إيمانها بكل شيء ،
 واستبد بقلبه أفق جاحد كافر . يقول يوسف الخطيب يصف اضطراب
 إيمانه أمام هول المأساة وحيرته وضياعه :
 كم تزت بين الضلوع كلُّهْ والقذى كأسه .. فَأَين نديمهْ
 ضاع فردوسه وضاع جحيمهْ

ليس يدرى فناءه من وجوده ليس يدرى انتهاءه من خلوده
 ليس يدرى إيمانه من جحوده

هكذا يإله يشقى عيدهُكْ أين وعدُ الأبرار، أين وعيدهُكْ
أين عدلُ الحياة.. فيمَ وجودُكِ!

أصلِي؟ ملَن تكون صلاقي لاجيء، ليس لي هشيمُ حياةٍ
ليس لي حفرةٌ تضمُ رفافي

وعندما يثوب يوسف الخطيب إلى نفسه يتبرأ من كفره وتفيض
من قلبه الجريح الحائر ثورة روح سجينه: تنشد الفكاك من قيود المذلة،
والتحرر والانطلاق من العبودية:

لستُ بالكافر الذي يتجرّبُ أنا روح يريد أنْ يتحرّرَ
أنا بالقيد والمذلة أكفرُ!

لقد فتح الشاعر عينيه بعد الكارثة ، فوجد نفسه « في سوق
العبيد » وسباط النخاس تكوي ضلوعه ، فكيف ينقذ « أناه »
ويسترد حريته :

يا أنا ، ياسلعةَ هيئةَ للمشترين
يا أنا ، ياقدحًا في سهراتِ المترفين
يا أنا ، يأشعّةَ تحرق ليل الكادحين
في ضلوعي أيُّ إعصار من الحقد الدفين

تلك آفاقٍ : دماء وحراب وسجون
 وجاه في الدجى تنزف خمر الحاكمين
 في ضلوعه حقد دفين ، يغلي ويفور ، ويدفعه إلى الثورة ،
 وينحه قوة الجبار ، فيظن أنه قادر على أن يقرر مصيره بنفسه ، وأن
 يتقمّع لعاده ، ويثار لكرامته ، فيرسل من أعماق قلبه هذه الصرخة
 الرائعة التي تتجاوز حدود شاعريته ، ويثبت بها الشاعر وثبة يتفوق
 بها على نفسه :

أنا مشعل ، أنا مارج جبار ، لا الريح تخدمني ولا الإعصار
 سأمدُّ في الآفاق ألسنة اللظى حراً لها في الخافقين أوار
 وأحرقنَ الليل حتى تنجلِي أدافعه فتؤدي يانار
 للبيتين دموهم وجرائمهم ولجنون ساح الوعى والثار
 ولسوف أغسل جنبي حتى ترى مثل الضحي ، ويذوب عنها العار
 أنا للحياة ولن أظلَّ مشرداً أقسمت لأرضي ولا اختار
 ومشيئتي قدر على أقدامه تمسح الأيام والأقدار
 لو شئت جمعت النجوم مشاعلاً وذروت في القطبين أرياح الردى
 أنا مجرم ، أنا حاقد ، أنا سيء فالأرض من بعدي لظى ودمار
 حتى تعود إلى ذويها الدار

ويوسف الخطيب أشعر من غنى النكبة بعقيدة قومية عربية

اشتراكية، وهو الشاعر اللاجئ الذي نراه في ديوانيه (العيون الظماء للنور) و(عائدون) يعيش تجربة النكبة بدمه وأعصابه ..

ولد يوسف الخطيب في قريه من قرى مدينة الخليل عام ١٩٣١ من أسرة فقيرة ، وقد بذل له أبوه كل ما يستطيع حتى أتم تحصيله الثانوي في مدارس الخليل، وفي عام ١٩٥٠ أم يوسف الخطيب دمشق للدراسة في جامعتها ، حيث قضى سنوات أربعاً من حياته يدرس الحقوق ، ويعمل في الوقت نفسه في الإذاعة والصحافة ، ليكسب ما يعينه على العيش والدراسة ، حتى إذا فاز بإجازة الحقوق رجع إلى الأردن ليعمل محاماً ومذيعاً ، فلما حصلت نكسة عام ١٩٥٧ هرب الشاعر ، والتجأ إلى الأقليم الشمالي ، فاحتضنته دار الإذاعة في دمشق ، وأصبح صوته الأجرش يهدى كل يوم من المذيع ، يذكر اللاجئين الفلسطينيين في كل مكان من العالم العربي أنهم لا بد (عائدون) ، وينفح في جيل النكبة روح العزيمة والنضال والصبر ، ليعرفوا أنهم على موعد مع القدر ، ويترقبوا أذان الفجر ليابوا صيحة الزحف المقدس .

إن يوسف الخطيب شاعر قومي ، يؤوج كل حرف من شعره يأمهنه الملتب بعروبه ، ولهفته الظالمية إلى التأثر :

أما ترانا في الدجى نعتلي وموعد الثأر ينادينا
نسعى إلى الفجر وما نأتلي نمرق الليل بأيدينا
إن كنت لا تعرف من أمتي فاسأل عن العرب الميادينا

نَكَادَ مِنْ سَوْرَةِ آلامِنَا تَخْذُ الْحَقْدَ لَنَا دِينَا !
 لقد آمنَ المشردونَ جمِيعاً بالْحَقْدِ ، فصغارُهُمْ يرْضَعُونَهُ مَعَ الْحَلِيبِ ،
 وهذه «رقِيَّة» صورة حيَّةٌ من صور النَّكَبَةِ ، ترسمُها الشاعرةُ فدوى
 طوقان ، لأمٍّ فقيرةٍ لاجئةٍ ، تعصفُ في صدورِها الأَنْغَانُ ، ووليدُها
 يَتَمَلَّمُ فِي حَجَرِهَا :

تَمَلَّمُ فِي حَضْنِهَا فَرَخْهَا فَضْمَتْهُ مَحْمُومَةً تَأْثِيرَهُ
 وَمَالَتْ عَلَيْهِ وَفِي صَدْرِهَا مَشَاعِرَ وَحْشِيَّةً هَادِرَهُ
 لِتَرْضَعَهُ مِنْ لَظَى حَقْدِهَا وَنَارَ ضَغَاتِهَا الْفَائِرَهُ
 وَتَسْكُبُ مِنْ سَمِّ خَاجَاتِهَا بِأَعْمَاقِهِ دَفْقَهُ زَاهِرَهُ
 وَلَيْسَ عَجِيَّاً أَنْ يَعْمَرَ الْحَقْدَ صُدُورَ الْمُنْكَوِّينَ إِثْرَ وَقْعِ الْكَارَثَهُ ،
 وَأَنْ يَمْلأَ جَانِبَيْهَا ضَخْمَآ مِنْ جَوَابِ شِعْرِ النَّكَبَهُ ، وَلَقَدْ تَسَرَّبَ الْحَقْدُ
 إِلَى صَدْرِ كُلِّ عَرَبٍ ، وَلَوْمَ يَكْنُ فَلَسْطِينِيًّا مُشَرَّداً ، ذَلِكَ أَنْ (أَخْوَهُ
 الْعَارِ) شَمَلتْ كُلَّ عَرَبٍ ، وَتَرَكَتْ لَهُ فِي فَلَسْطِينِ جَرَاحَ رَغِيَّاً يَنْتَظِرُ
 الثَّأْرَ ، وَهَذَا يَنْطَلِقُ صَوْتُ مُحَمَّدِ بَدْرِ الدِّينِ مِنَ الْقَاهِرَهُ :

أَنَا يَا أَخِي فِي الْعَارِ لَنْ أَنْسِي هَنَاكَ
 فَأَنْخِي الشَّهِيدَ عَلَى التَّرَى مَلْقِي هَنَاكَ
 وَالثَّأْرَ يَوْمًا سُوفَ يَجْمِعُنَا هَنَاكَ
 أَنَا مِنْ هَنَا ... لَكِنْ جَرَحِي مِنْ هَنَاكَ

• • •

سثير أحقادي مرارة ذاتي
 وتعيد في ذهني خيال النكبة
 هي نكبتي ، فالقدس كانت قبلتني
 إن لم أكن منها ففيها أمتي
 واللاجئون من الضحايا إخوتي
 يوماً سأكتب في ثراها قصتي
 بدمي ، وأنسف قيدها بعزمي
 فإذا صرعت ، أخي فوسّدني هناك
 أنا من هنا ... لكن روحي من هناك ! ...

غير أن مرور الزمن على جراح الكارثة خفف من ثورة القلق
 والحيرة عند شعراء النكبة ، فخفت صوت الحقد والضغينة في
 نقوشهم ، وجدت عوامل كثيرة أعانت على كبح جماح اليأس
 في قلوب المنكوبين ، كانفجار الانقلابات الشعبية في كل طرف
 من أطراف العالم العربي ، ونجاح الثورة المصرية وتصفية الفساد في
 كبرى الدول العربية ، وتولي القيادات المؤمنة بالحلقة أزمة الأمور
 في كثير من أقطار العرب ، وقيام الوحدة بين القطرين المصري
 والسوري ، وازدياد الوعي القومي والثورى في أوساط الشعوب

العربية ، وبقلص ظلال اليأس أشرق التفاؤل في شعر النكبة ، وأشعت من جديد حرارة الإيمان بالشعوب العربية ويقظتها وبعثها ووحدتها ، كما يقول يوسف الخطيب :

غرة البعث أشرقت تسحب النور على اليد والقرى والمحاضر
فاعصري يا أكف منها نيداً واستحمي في ضوئها يانواظر
نحن في موئل العروبة شعب جمعتنا رغم الحدود الأواصر
ومع يقظة الشعب العربي يتفجر جدول الضياء ، وتعلن الأمة
العربية إيمانها ب نفسها ، وعزيمتها على التحرر ، كما يقول الخطيب نفسه :

هكذا جدول الضياء تفجر
هكذا راحت الملايين تزخر
وحداء كالرعد : الشعب أكبر
إنَّ شعباً يريد أن يتحرر

ويعلو عند ذلك صوت أبي سلمى يبحث الشعب على الثورة وتحطيم
جبروت الطغاة :

ثورة الشعب طهري كل أرض واحطمي كل من طغى وتجبر
فيعيش الإنسان حراً طليقاً وينير الطريق شعب تحرر
وتسبد الثقة بالشعب وقوته ببعض شعراء النكبة فيزار في وجه
الطغاة ثائراً مهدداً مغالياً ، كما يفعل خليل زقطان :

فليقرأوا فوق الجبال الغرب فلسفة العصاة

صوراً من الإصرار تُعَلِّمُ أنما الشعـب الإله

ومما يزيد موجة التفاؤل إشراقاً في شعر النكبة، اندفاع تلك الثورة العارمة من الحنين إلى أرض الوطن المغصوب، فبعد أن ذاق اللاجئون التائدون مرارة التشرد والغربة فاض بهم الشوق إلى الوطن والديار، وهذا محبي الدين عيسى ينaggi رابع جبل الجرمق بعد خمس سنوات من التيه والتغرب :

حيثكِ عني يا رباع الجرمق
أزكى النساء من مشارف جلق
خمسٌ من السنوات مرت لم تذق عيني الكري إلا لطيفٌ مؤرق
طيفٌ يحدد كل يوم لوعةٍ ويشير فرط صبافي وتشوّقٍ
وهذا أبو سلمي يحن إلى داره في فلسطين ، وإلى دنيا من الذكريات
الحلوة التي خلفها فيها :

داري التي أغفت على ربعةٍ حالمٌ بالمجده والغار
تفتح الزهر على خدمها فعطرت أيام آذار
والتنية الخضراء في ظلها تاريخ أشواقٍ وآثارٍ
والعين خلف الدار في المنحنى تروي حكاياتي وأخباري
وهذا عبد الرحمن الكيالي يحن إلى يافا وأمسياتها الحلوة :

ويافا الجميلة بنت المفأة نـَ كـَيـَفـَ عـَنـَ الـَّأـَهـَلـَ سـَلـَوانـَهـَا
أتـَصـَبـُو إـَلـَىـ الـَّبـَرـَعـَنـَدـَ الغـَرـَوـَبـَ وـَتـَشـَدـُو عـَلـَىـ الـَّمـَاءـَ خـَلـَجـَانـَهـَا

ويعلو الضجيج بها في الصباح ويلهو مع الليل نشوانها
والخين الصادق اللوعة حقاً يغور في قلب شاعر النكبة يوسف
المطيب ، فقد كان ذات أصيل على شاطئ بردى حين رأى عندلياً
مقبلاً من الجنوب ، مهاجرأً مثله من فلسطين ، فيسأله ويناجيه
بأرق النجوى :

وأكاد ألمح في وجومك لوت مأساتي
جرحي ولحمتي وتشريدي ، وآهاتي ..

في لففة يا صاحبي مشبوبةُ النارِ
هل بعضُ أخبارِ تحدثها ، وأسرارِ
للظائمين على متاه الوحشة العاري
كيف الحقول تركتها في عرس آذارِ
ومتي لويتَ جناحكَ الراهي عن الدارِ
.. عجباً ، تراكَ أتيتنا من غير تذكرة !

لو قشةٌ هما يرف بيدرِ البلدِ
خبأتها بين الجناحِ وخفقة الكبدِ
لو رملاتٌ من المثلث أو رباع صدرِ
لو عشبةٌ ييدِ ، ومزقة سوسنٍ ييدِ !

أين الهدايا مذ برحـت مرابع الرغـد
أم جئت مثلـي بالحنـين وسورة الكـمد

عهـدي بـدار طـفـولي سـحـرـية الصـورـ
مـغـسـولـة الـرـبـوـاتـ فـي شـلـالـة الـقـمـرـ
أـواـهـ كـمـ أـمـسـيـةـ عـرـيـةـ السـمـرـ
كـانـتـ لـنـاـ فـيـ كـلـ رـايـةـ وـمـنـحدـرـ
كـمـ سـرـحةـ عـنـدـ الـأـصـيلـ وـيـقـظـةـ السـحـرـ
بـسـلـالـنـاـ ، مـلـءـ الـرـبـاـ وـمـسـارـبـ الشـجـرـ

• • •

ماـذـاـ رـحـيلـكـ أـيـهاـ المـشـرـدـ الـبـاكـيـ
عـنـ أـرـضـ غـابـاتـ الـخـيـالـ وـفـوحـهاـ الزـاكـيـ!
أـمـ أـنـ مـرجـ الـزـهـرـ أـصـبـ قـفـرـ أـشـوـاـكـ
وـتـلـوـنـتـ أـنـهـارـهـاـ بـنـجـيـعـ سـفـاكـ
.. دـارـيـ ، وـفـيـ عـيـنـيـ وـالـشـفـتـيـنـ نـجـوـاـكـ
لاـكـنـتـ نـسـلـ عـرـوـبـيـ إـنـ كـنـتـ أـنـسـاـكـ

وـمـظـاهـرـ التـفـاؤـلـ فـيـ شـعـرـ النـكـبةـ أـنـ تـلـهـبـ فـيـ جـوـانـبـهـ الدـعـوـةـ
إـلـىـ الثـأـرـ ، وـأـنـ تـغـليـ فـيـ عـزـيـةـ التـصـمـيمـ عـلـىـ العـودـةـ إـلـىـ الـوـطـنـ ، وـبـعـدـ

أن كنا نسمع من شعراً النكبة أين اليأس من استعادة الأرض المغصوبة ، وثورتهم على تخاذل الشعب العربي وضعفه وانهياره وهزالة وعيه ، أصبحنا نسمع منهم صرخات القوة والإيمان بوعي الشعب ونضاله ، ويكتننا أن نضرب الأمثلة الكثيرة على هذا التطور في شعر النكبة ، فهذا الشاعر عيسى الناعوري كان في ساعات يأسه ينكر وعي الشعب العربي ويتهمه بالحنون والاستسلام لكل طاغية :

الوعي وعي الشعب كذبٌ^{فما} في شعبنا وعيٌ وأحرارٌ^{منجد} الطاغي ونعنو إذا ما ساقنا للذل سمسارٌ^{ثم} أصبح الشاعر نفسه يطلق صرخة الإيمان بالشعب لخوض معركة الثأر :

يا فلسطين إن للثأر يوماً
سترِّي الأرض هوله والسماءُ
فبنوك الذين قد شردتهم نوبُ الظلم ما اعتبراه وناءٌ
سوف يبقى الحقد المقدس فيهم يتلذّذ ولن تقر الدماء
وهذا الشاعر اللاجيء خليل زقطان كان اليأس يدفع به إلى مثل
هذا القول :

يا صاح لا تحلم بأنك عائدٌ^{للربع فالألام قد لا تصدق}
سنظل ندعى لاجئين كما ترى^{ويظل يخدعنا الذي يتصدق}
ثم غاب اليأس ، وأطل الأمل والإيمان بوعي الشعب في شعره ،
كالذي نجده في قوله :

يا أمسنا المخضوب بالدَّم ، بالفواجع ، بالدموع
 اغْرِب ، فقْبَر الوعي عانق نوره أَمْل الجموع
 فُشلت تُزيل مِعَالِم الفوضى وأُسْبَاب المخضوب
 وهذا الشاعر كمال ناصر ، نجد في ديوانه (جراح تغنى) نسمة عارمة
 على الشعب وجبنه ، إذ لا يجد فيه البطل الفارس الفدائي :

لا بطل يمشي الى حتفه مؤذراً ، مغامراً ، مؤمناً
 لا فارس تُضرمه غاية ويدعيه في الجهاد السنا
 ولا فدائي جريء الخطا يستعبد الميتة بين القنا
 صرخت في يأسي وفي حرقي ما أحقر الشعب وما أجبنا !

فإذا انكسرت موجة اليأس والحرقة ، وأشرق التفاؤل ، دوت
 صرخة الشاعر نفسه ، تعان في زهو لاحد له ، إيمانه بالشعب
 وقوته وكبريائه :

أنا الشعب فلتسمعني يا ذرا
 شيدي ، يدوبي بسمع القضاء
 فمن كبرباء إلى كبرباء
 أَمْد جنائي عبر الجراح
 نداء الخلود وسر البقاء
 أنا الشعب يا حفنة المرجفين
 على مقلتي مصير الوجود وفي وجنتي مصير القضاء !

أما الشاعر الذي هزم اليأس فلم يجد إلى قلبه سيلآ ، فهو شاعر
 العودة غير مدافع بين شعراء النكبة جميعاً ، أعني هارون هاشم

رشيد ، ذلك أنتا نجد في دواوينه الأربعة (مع الغرباء — عودة الغرباء — غزوة في خط النار— أرض الثورات) تلك الروح المتجهة المؤمنة التي لا يعتريها يأس ، ولا يتزعزع إيمانها بكسب الجولة الثانية :

من الكهف والخيمة البالية سأجمع للشأن أسلائمه
سأجمع أهلي وأصحابي وأصرخ من عمق أعماليه
وأرسلها صحة داوية وأدعوا إلى الجولة الثانية
وعلى الرغم من أن الشاعر عاش مع اللاجئين الغرباء تجارب كاملة في ديوانه الأول ، فرأى بؤسهم وعريهم وجوعهم ، فإن روح التفاؤل والنضال لم تمت في شعره :

هذي الخيامُ لا ترى
ضاقت بن فيها الحياة
لا .. لا يروُّك السقا
م فلن يحطمها السقام
كلا ولا هذا الشقا
ء إذا تفشي والحمامُ
لا لن يضر عقيدة من أجلا صلوا وصاموا
وكان الشاعر ينفع من روحه القوية في قلوب المنكوبين التائبين
ليواصلوا السير والكفاح :

يا أخي الضارب في التيه وما كلت خطاك
أنت تمشي باندفاع والدنى تمشي وراك
فإذا اليأس تراءى حطمه قبضتك
وإذا الدمع تنزى جفنته مقلتك

يا أخي ، إن تهت في الدرب ، فلا تلق عصاك
 سر وكافح جاهداً ما استطعتَ تبلغ مبتغاك
 فشاعر العودة مؤمن بالعودة ، على الرغم من كل شيء :
 سنعود يا أختاه للوطن رغم الشقاء وقسوة الزمن
 رغم الليالي العابثات بنا والجوع والشرىد والمحن
 وهو يرى يوم العودة قريباً ، ويعلن أن الزحف المقدس على
 فلسطين لاستردادها موعده غد :

قسماً بهم .. قسماً بن قد شردوا
 تحت الخيام الباليلاتِ وأبعدوا
 قسماً بأقدسِ لهم تهندد
 عيسى بنى أمجادها محمدُ
 سنكون بركاناً يور ويُزبدُ
 سنكون حرباً لاتكل لها يدُ
 وسنجمع الشمل الكبير ونخشيد
 وإذا دعا الداعي وحان الموعدُ
 ألفيتنا من كل صوب نرقد
 كالليل نهدى بالجهاد ونرعد
 الزحف .. إن الزحف موعده غد

في غد ينشي الكون بوابة الجيش العربي على فلسطين الشهيدة ،

يقوده بطلٌ كصلاح الدين ، فيستخاص الديار المقدسة ، ويثار
للحضارات والشهداء :

يافلسطين أراها وثبةٌ
في غدر تعد بالكون انتشاءٌ
وصلح الدين في فيلقه
يرجم البغي اتفاضاً وارتقاءٌ
وأرى حطين من فرحتها
زحفت تلقاء حبّاً ووفاءٌ
وأرى من حولها أمتنا
بذلت في ساحة التأثير الدماءٌ
وسرايانا التقت في موعدٍ مسح الدهر بها ماقد أسماءٌ
ولواء النصر معقودٌ لها والملروءات تحكي الشهداءٌ
أما دعاء السلام الذين يتبحرون بالمثل الإنسانية ، ويدعون إلى
قتل روح الكفاح في الشعب ، ويتنا夙ون دماء فلسطين الذبيحة ،
فإن شاعر العودة هارون هاشم رسيد نفسه يدعونا أن نقول لهم :

قولوا لأشباء الرجال ولا رجالٌ
الهاربين من الجهاد ، الخائفين من القتال
قولوا لهم : وضي النهار وأشرقت شمس النضال

...

قولوا لهم : أين السلامُ الحقُّ أشياعَ السلامِ
والداعرون يمزقون قداسة الأرض الحرامِ
يتمتعون بخيرها .. ونوتُ في ليل الخيامِ

.....

الجولةُ الكبُریٌ غدَّاً .. لابدُ منها والكافح
سنسير للنصر القريب ، ولن يؤخرنا النباح

ومن أبرز مظاهر التفاؤل في شعر النكبة عودة الثقة بالنفس العربية ، وتحديها من جديد للدولة المسيحية ، فقد استطاعت مصر الثورة أن تبني للعروبة جيشاً قوياً يقف في وجه مطامع إسرائيل ، وأصبحت الدولة اليهودية إذا رفعت صوتها تهدد العرب وتتوعد بهم ، تلقت من الرئيس جمال عبد الناصر مثل هذا التحدي الساخر : «فلتهجم إسرائيل في الربع ، ولهجم إسرائيل في الصيف ، ولهجم إسرائيل في الخريف ، ولهجم إسرائيل في الشتاء إن كانت تحب الشتاء!» ويتلطف شعر النكبة هذا التحدي فيصوغه شعراء ، ويوجهه إنذاراً صاعقاً إلى اليهود المعدين ، بلسان الشاعر سمير صنبر :

الموتُ عبر خطوطنا فليزحفوا
وليجموا ، وليعدوا ، وليعرفوا
أن الدماء ، دماءنا ، خلف الحدود
تغلي وتصنع من جديد
تاریخَ شعبٍ يهتف :
فليزحفوا
وليعرفوا

أَنَا سُرْجِعُ بِإِلَرَادَةٍ ، بِالْحَدِيدِ
أَرْضَ الْجَدُودِ .

• • •

وَلِيَصْرُخُوا ، وَلِيَكْذِبُوا ، وَلِيَهْرُفُوا
وَلِيَعْتَدُوا ، وَلِيَقْتَلُوا ، وَلِيَخْتَفُوا
وَلِيَأْثُوا
وَلِيَعْلَمُوا
أَنَا الْجَدَارُ الْمُسْتَعْدُ الصَّامِدُ
أَنَا الْصَّرَاعُ الْمُسْتَيْرُ الْخَالِدُ
إِيمَانُنَا الْخَطُّ الْمُنْيَعُ الرَّاصِدُ
أَرْوَاحُنَا الْفَجْرُ الْقَرِيبُ الصَّاعِدُ
فَلِيَقْدُمُوا أَعْصَابُهُمْ .. فَلِيَقْدُمُوا
وَلِيَطْلُقُوا نِيرَانَهُمْ ، وَلِيَعْتَدُوا
فَلِمَوْعِدٍ
فِي صَدْرِنَا لَهْبٌ يُثُورُ وَيُزَبِّدُ
فِي أَرْضِنَا ظَمَّاً يَثْنَ وَيَحْقِدُ
وَلَنَا الغَدُ
وَالْجَوْلَةُ الْأُخْرَى وَرَكْبُ الصَّامِدِينَ
وَدَبِيبُ أَقْدَامِ الْمَشَاةِ الظَّافِرِينَ

وهناف آلاف الضحايا النازحين
القدس ، حيفا ، دربنا ، فليعرفوا
الموت عبر خطوطنا فليزحفوا ..

وزحف اليهود بحماية الاستعمار على مصر ، بعد ثمانى سنوات من
التقسيم ، ووقفت غزة في خط النار صامدة كاصمدت بور سعيد ، وعندما
دخلها اليهود رأوا فيها شعباً جديداً ، يختلف كل الاختلاف عن الشعب
الذى عرفوه قبل سنوات ... فقد قاتلهم في غزة جيل عربي جديد ،
يُعمر قلبه بالإيمان والشوق الى الشهادة ، لا يرهب القنابل ، ولا يخلي
دوره وربوعه للغزاة ، وكذلك بقي الشاعر هارون هاشم رشيد في
بلده غزة خلال الاحتلال ، طوال شهرين ، فلما اضطرب العصف
الصهيوني الى مغادرة غزة ، لم يطق قلبه وداع بلده الحبيب :

أوداعاً ؟ فيم ياغزة بالله الوداع
وأنا منك تراب وشعور والتاع
أنا إن ودّعت معناك تلقاني الضياع
وتلقّتني ذئاب جائعات وضباع
أوداعاً.. لا وحق الثأر، لا كان الوداع
وعندما انسحب المعتدون يجررون أذىال الخيبة ، عاد الشاعر
إلى غزة ليشيعهم متحدياً :

مازلت هبأ مشتعلًا
يدعو للحرب وللثار
ولقد كان الاعتداء الثلاثي أبلغ درس في معركة النكبة، لإسرائيل
والعرب معاً : فأما إسرائيل فقد أيقنت بعد الاعتداء أن الأمة العربية
قد ولدت من جديد ، وفي يد كل فرد منها سلاحه ، يتحدى كل
مغتصب معتد ، بلسان الشاعر صلاح الدين عبد الصبور :

سأقتلك

من قبل أن تقتلني سأقتلك
من قبل أن تغوص في دمي
أغوص في دمك
وليس بیننا سوى السلاح
وليحكم السلاح بیننا !

وأما العرب فقد لفتهم النصر إلى قيمة اتحادهم، فصاغ جمال عبدالناصر
وشكري القوتلي معاً أروع قصائد النكبة بميلاد الجمهورية العربية
المتحدة ، وهي أول قصيدة في نشيد الوحدة العربية الكبرى .

لقد كانت نكبة العرب في فلسطين هزةً عنيفة عصفت بكلائهم
من جذوره ، وأيقظتهم من نومهم بأهوالها وآسيها ، ولم تمض عشر
سنوات على تقسيم فلسطين حتى أصبحت الوحدة العربية حقيقة واقعة
بعد أن كانت حلاماً بعيداً ، وبدت طلائعها بقيام الجمهورية العربية المتحدة
وأيقن العرب أن النكبة ستكون الحافز العميق ليقظتهم وبعثهم .

أما شعراء النكبة فلم يغفلوا عن رصد أثرها في توحيد الأمة العربية ، فهذا أبو سلمى ينaggi فلسطين بقصيدة يسمىها « بعد عشر سنين » يحدد فيها دور النكبة في الوحدة ، ويقرر أن الوحدة العربية الكبرى لا تم إلا بتحرير فلسطين من معتصبيها :

يا فلسطين مضت عشر وفي كل يوم يسمع الدهر ندائنا وأتينا واللظى يحرقنا عرباً : قلباً ووجهها ولساننا يا أحبابي مضت عشر ولم تتم الترب المقدى شفتنا وشظايا نالواقي وحدت بين أهلينا ولم يبق سوانا لن تم الوحدة الكبرى إذا لم يلح في الوحدة الكبرى حانا وإناليوم ، وبعد مضي اثنتي عشرة سنة على اغتصاب الأرض المقدسة ، لا يزال شعر النكبة يوالي إنشاد أغانيه ، ينفح بها في جيل النكبة روح النضال والكفاح والثأر ، في انتظار يوم المعركة الحاسمة ، ويعلن للعالم أن العرب لا ينسون دماء فلسطين منها يطل ليل المخنة ، وأن النكبة لا تزيدهم إلا قوة وعزيمة وإصراراً ، كما يقول أبو سلمى : كيف ننسى وعلى كل ثرى دمنا يسري سعيراً والتهاباً نحن في النكبة أصفى جوهراً كلما اشتد لهيب النار طاما



الفصل الخامس

خصائص شعر النكبة

قدمنا في الفصول السابقة خلاصة الحقائق التاريخية للنكبة الفلسطينية في دورها ، منذ أن أعلن وعد بلفور سنة ١٩١٧ ، إلى عامنا الحاضر ١٩٦٠ ، بعد مضي اثنتي عشرة سنة على تقسيم فلسطين ؛ وعرضنا مشاهد مختارة متسللة من الشعر العربي المعاصر الذي يحكي أحداث النكبة ويعكس أصداءها ، ولقد حاولنا في هذا العرض الشعري ألا نطيل الطريق ، وأن نضمن — ما استطعنا — للمشاهد ترابطًا ينجيها من التفكك ، وحركة متابعة تعين على ملاحظة مراحل شعر النكبة ورصد تطوره ، ولهذا كان علينا أن نوجز ، وأن نكتفي عند كل مشهد بإيراد حفنة مختارة من الشعر ، راجين أن يغنى القليل عن الكثير ،

وأن ينوب عنه في تثيل الأحداث وتصويرها ، وأن يشف عن أهم
الخصائص الفنية التي يمتاز بها شعر النكبة .

ولقد آثرنا أيضاً أن نجمع الدراسة الأدبية لشعر النكبة في
فصل خاص بها ، على أن تنشرها تفاصيلاً في تضاعيف المشاهد الشعرية المعروضة
قبلًا ، ولنا من وراء ذلك غاية فنية وهي حمایة العرض الشعري
من تراخي الحركة وضعفها وتفككها ، وغاية تعليمية وهي إبراز
خصائص شعر النكبة وتحديدها وتكثيفها وإعانته الدارسين على
تلمسها وحصرها .

- ١ -

هزت النكبة ضمائر الشعراء العرب في كل قطر ، فقالوا الشعر
في غناها ، فدلل شعر النكبة بذلك على أن محنّة فلسطين ليست كارثة
 محلية ضيقة ، بل هي نكبة قومية جامعة ، أيقظت بأهوالها وما سيها
 أمة العرب ، في كل قطر من أقطارهم ، وأظهرتهم على أن اغتصاب هذا
 الجزء المقدس من كيانهم الأرضي الموروث مقدمةً تكشف عن
 أطماع الصهيونية والاستعمار في وطنهم لانهياً لها ، فضلاً عن كرامتهم
 التي ديسّت ، والدماء العربية التي هدرت ، وهلذا ارتعش وجدان كل
 عربي مؤمن بعروبه ، وتفجر الشعر الحزين من قلب كل شاعر

عربي ، يذكر ضياع فلسطين ونكبة الأمة العربية فيها ، ومن النادر أن يخلو ديوان شاعر عربي معاصر من صفحات تعكس أصداها النكبة وتروي شيئاً من أحداثها ، غير أن الشعراء من أبناء فلسطين هم الذين غنووا أصدق ألحان النكبة وأعمقها وجداً وعاطفة ، لأنهم صدر وافيهما عن واقع وطنهم ، وحكوا عن التجارب التي عاشهما بأنفسهم ، والماسي التي رأوها بأعينهم ، وماراء كمن سمع ، ولا منكوب كمواس ، ولقد برع منهم إبراهيم طوقان في الدور الأول ، ويوسف الخطيب وأبو سامي وهارون هاشم رشيد في الدور الثاني ، فكانوا في الطليعة : فأما إبراهيم طوقان فقد كان يعني النكبة بألحان كثيبة مت SHAREEEA ، ترثى من نفس حزينة ، وجسم مريض معلول ، وأما يوسف الخطيب فإن لحاله عصارة قلب متمرد ، عاش تحبرة النكبة بكل دقة من دماته ، وكل رجفة من أعصابه ، وأما أبو سامي فان أغانيه الرائعة تعاصر النكبة في دورها ، وتفيض مرارة وحداداً على (جريي النكبة) من الملوك والقادة ، وتقطر حنيناً وشوقاً إلى الوطن المغصوب ، وأما هارون هاشم رشيد فإنه شاعر الأمل والوعودة ، وفي شعره زاد وجداً حماسياً يلهب جيل النكبة ، وينحه القوة والعزمية والتفاؤل والاستعداد للجولة الثانية ، وفي شعر كل واحد من هؤلاء نفسم سام ، وعاطفة صادقة متوجهة ، وطبع مصقول ، وموسيقى عذبة متموجة ، ونزع واع إلى التجديد .

نرى في شعر النكبة صورة واضحة المعالم المختلفة لتيارات الاجتماعية التي تعصف بالأمة العربية وهي تتمس طريقها نحو اليقظة والنور والحرية ، من اليسارية فالاشتراكية إلى القومية فاليمينية : في الدور الأول من النكبة يطالعنا تمثيل كامل لهذه الاتجاهات كلها في شعر أبي سلمى وعبد الرحيم محمود وابراهيم طوقان وبرهان الدين العبوشي ، أما في الدور الثاني من النكبة فقد أزدأ بعض هذه الاتجاهات تبلوراً وإشعاعاً بسبب من ازدهار الدعوات التي تمثلها في العالم العربي ، كالتيار القومي الاشتراكي ، وخفت صوت بعضها ، كالتيار اليميني ، ومرد ذلك إلى أن العرب رأوا - في دفاعهم عن كيانهم الأرضي الموروث وعنعروبة قطعة منه - أن يقودوا المعركة في فلسطين على أساس قومي ، لا على أساس ديني ، وكان موقف بعض الدول الإسلامية من المعركة غير محمود ، فقد ضللت شعوبها المسماة فلم تتع وعيَا كافياً بأن معركة العروبة في فلسطين هي - إلى ذلك - معركة المسجد الأقصى والصخرة المقدسة !

ولهذا يقى العرب وحدهم في الميدان ، يخوضون معركتهم القومية الكبرى ، وتقاس ظل الاتجاه الإسلامي وانزوئ على استحياء إذ

لم يجد في الدور الثاني ما يعينه على موالة الألحان^(١) ..
 غير أن أصنف الألحان النكبة - في رأيي - وأكثرها انسجاماً مع
 طبيعة الكارثة ، وأغناها فائدة ومردوداً ، ما كان منها صادراً عن إيمان
 قومي واضح ، مدرك لقيمة الطاقة الإسلامية ودورها في دعم النضال
 العربي الموحد ، متفتح للإنسانية كلها ، متجاوب معها في سيل إثارة
 الضمير العالمي ... ومثل هذه الألحان الصافية قليل في شعر النكبة ،
 نجد أصواتاً مبعثرة لها في شعر هارون هاشم رشيد ؛ وليس من ريب
 في أن مثل هذه الألحان تلتقي على غنائمها القلوب المؤمنة كلها ، فتشير في
 النفس العربية تطلعًا متباينًا إلى المستقبل في قوة وعزيمة وإصرار ،
 وينطلق العمل للثأر في اتجاه محمد هادف مؤمن بناء .

- ٣ -

وفي شعر النكبة نجد أيضاً صورة للمخاض النفسي العنيد الذي
 عاناه العرب في مختلف أطوار النكبة .
 في الدور الأول من النكبة كان شعراً وله - على الرغم من تعدد

(١) - من الانصاف أن نذكر هنا تلك السرية من المتطوعين اليوغوسلافيين المسلمين الذين أسهموا في معارك يافا (النكبة) - لعارف العارف : ج ١ ص ٢٤٤ ، ٢٤٧) وإن لم يكن لها أثر كبير في طوفان النكبة العارم .

اتجاهاتهم واحتلافها - يتلاقون جميعاً عند الدعوة إلى تنبية الغافلين :
وضمّ الجهد المبذولة ، وسلوك سبل القوة والثورة ، والكفر
بالزعamas الزائفه المستغلة ، وتمجيد الفدائين والشهداء ؛ ثم جاء
الدور الثاني فكان شعر النكبة في أوله يوج بالقلق والخيرة والشك ،
وهو بذلك كله صورة صادقة للنفس العربيه الجريحة الكبرياء في أعقاب
المعركة، عندما صدمتها الهزيمة فأذلتها وغمرتها في ظلمة قاتمة من الغضب
واليأس والانهيار ، ثم فجرت منها براً كين الحقد على كل من له يد في
الجريمة العظمى ، من الحكم والملوك والساسة العرب إلى إسرائيل
والصهيونية والاستعمار وأذنابه ..

ثم استيقظت النفس العربيه وقد صهرت الهزيمة معالماً بكلآبة
طاغية قاتمة ، يزيد بؤس اللاجئين المشردين في قُتمتها !

ثم أشرق على شعر النكبة في دوره الثاني طورٌ جديدٌ ، تنسّم
الشعراء فيه روح التطلع والأمل والتفاؤل ، فأظهرواهم على أن الشعوب
العربيه لم تُهزَم ، بل هزمت حكوماتها الخائنة المتأمرة ؛ وازدادت
إشراقة الأمل إثر الانفجارات الشعبيه في كل عاصمه من عواصم العالم
العربي ، وفي كل طرف من أطرافه ، وبذلك عادت للنفس العربيه نفتها
بذاتها ، وبدأت سلسلة من الانتصارات العربيه تتوالي ، بفضل قيادات
شعبيه واعيه ، صنعتها النكبة ونفخت فيها روح العزيه والجهاد ، فإذا
النفس العربيه تولد من جديد ، مدركة ذاتها ، تحدي كل معتقد أو

مغتصب ، وبات - بعد أن نزعت من صدرها أغلال القلق والخيرة
والشك - تنتظر في شوق وثبات وإيمان موعد الزحف المقدس ،
لتحقيق الوحدة الكبرى وكسب الجولة الثانية .

- ٤ -

استطاع شعر النكبة - وهو يستوحى ما سيها وأهواها - أن يُغنى
العنصر العاطفي والحساني فيه ، ووفق في تمثيل الجانب الحزين والتمرد ،
فأبكى العيون بما صور من بؤس اللاجئين وشقائهم وجوعهم وعريهم
وهم يقاومون الأهوال السود في الكهوف والخيام ، وهن القلوب بما
نقل من مشاهد حماسة المشردين للتعبئة وحنينهم إلى العودة وشوقهم
إلى التأر ، إلا أن شعر النكبة لم يكُن يعني بغير هذا العنصر الانفعالي
الوجوداني ، فظل العنصر الفكري فيه فقيرا ، ذلك أننا لا نجد في
شعر النكبة ما يعين على تزويد الضمير العربي بالسند الجدي لحق
الأمة العربية في فلسطين وبطلان مزاعم الصهيونية وادعاءاتها ؛ ثم إن
شعراء النكبة لم يستطعوا أن يعكسوا المعنى الإيجابي للمسألة القومية
الكبرى ، المعنى البناء الذي يحدد الهدف ويرسم الطريق ، فهم جميعا
دعوا في شعرهم إلى الجولة الثانية ، دون وعي أو دراسة ، فإسرائيل
ليست غزوة حرية أبتلي بها العالم العربي ، كالمغزوات الصليبية الماضية ،

بل هي غزوة حضارية مر كثرة ، تسليح بالعلم والغنى والقوة، فهي خطير
دائم دائم ، مادمنا جاهلين فقراء ضعفاء ، ولو أننا استطعنا أن نكسب
الحرب وأن نقضي على الدولة المسيحية ، وبقيانا من بعد دويلات
مفكرة منحطة متعددة متناهية ، وشعراً بمزقة جاهلة متأخرة ،
لتفرق اليهود في البلاد العربية ، غائبين آمنين ، واستعمروا كلها
بتفوقهم الحضاري والاقتصادي ! يجب أن يدرك شعراً النكبة
أن الجولة الثانية وهم لا فائدة منه ، إذا لم تسبقها إقامة الدولة العربية
المتحدة التي تجمع العرب ، وتقضى على عوامل التجزئة والتفرقة
والتفكك والتخاذل ، وتسليح بالعلم والمعرفة ، وتستثمر ثروات
الأرض العربية الغنية ، وتأخذ بكل أسباب القوة ؛ وبقيام هذه
الدولة العربية الموحدة ، وبناء مواطنها هذا البناء القوي الراسخ ،
 يتم القضاء على إسرائيل ، من قبل أن تبدأ الجولة الثانية .

إن إقامة الدولة العربية الموحدة في العالم العربي لاتتم إلا بالقضاء
على الاستعمار وأذنابه فيه أولاً ، والاستعمار هو خالق إسرائيل وحاميها ،
وبطرده من العالم العربي وتصفية أعوانه ينكشف ظهر إسرائيل ويقترب
يومها الموعود ! وقد أدرك شعراً النكبة هذه الحقيقة فتلاقوا جميعاً
على مواجهة الاستعمار وتحميل المستعمر مسؤولية النكبة ، ودعوا
الشعوب العربية في كل قطر عربي إلى الثورة على الاستعمار وطرده من
العالم العربي والقضاء على زبانيته وأعوانه .

- ٥ -

أهم شعر النكبة قيمة العنصر الأخلاقي عند دعوته الشعور العربي إلى القوة والتعبئة لمواجهة النكبة، وليس ريب في أن من الصعب على شعر النكبة أن يؤدي مهمته في تعميق الشعور بالخطر لدى الجماهير العربية إذا كان دعاء الانحلال ينفثون فيها سموهم الجنسية دون وازع أو رقيب ، ويسبكون في أعصاب الشباب العربي نار الشهوة، بقصائدتهم المفضوحة العارية ، ومن أين للشباب العربي - وهو يخوض مع أمتة معركة البقاء أو القضاء - أن يتجلّد ويتناسك ويستعد ليوم الزحف ، إذا كان أدب التمييع والشهوة يستأثر برأسه ، ويستثير غرائزه ويبثج بهيميته، ويدفع به كالمحنون وراء كل أثني يتخيلها «نبيذية الفم ، جائعة الشفتين ، زيتية العينين ، طائشة الضفائر ، مشتبحة العروق ، سعيرية النهدين ، ملتهبة المفاصل إلخ ...»

إن في إقبال الطبقة القارئة في العالم العربي على دواوين هؤلاء الشعراء ، ورواج شعرهم في أوساط الشباب العربي ، دليلاً على انتشار الوهن الخلقي وضمور الإحساس بالخطر الجاثم على الحدود ؛ وعلى شعر النكبة أن يتبنّه لهذا الداء ويكافحه ، وأن يتبنّى الدعوة إلى التعبئة الأخلاقية ، لخلق جيل عربي مؤمن ينفر من الانحلال والتمييع، ويحسن

المقاومة والصمود في وجه المغريات ، ويقدر على خوض المعركة
القادمة وانتزاع النصر .

— ٦ —

ويضعنا البحث في خصائص شعر النكبة أمام مشكلة الشعر العربي
المعاصر كله ، وجهاً لوجه ، من حيث الموضوع (الفكرة الشعرية
الملتزمة) ومن حيث الصياغة (الشعر الحر) وبذلك نصل إلى أهم أثر
للنكبة في أدبنا المعاصر ، شعره ونثره .

أما الدعوة إلى الالتزام فإن النكبة أكبر عامل في إثارتها ، ذلك
أن النكبة قدّمت لشعرائها مادة واقعية غنية ، وشغلت بها سبها وبلادها
وأهواها الضمير العربي ، فانطلقت الصرخة من أعماقه ، داعية إلى
مطاوعة الأدب الحديث لواقع الأمة العربية المرير ، ليعيش الأدب
تجربة الأمة ، ويكون هادفاً صادقاً حياً ، ويكون الأديب صاحب
رسالة ، يستقي منها ، ليملأ مضمونه الشعري أو النثري منها ، لامن
ذاكرته ومحفوظاته ، ولا من خياله ، فيربط بذلك بين اتجاهه والحياة
الاجتماعية التي يحياها .

لقد أثيرت الدعوة إلى الالتزام في أعقاب الهزيمة ، وشغلت
ـ وما تزال تشغل ـ الأوساط الفكرية في العالم العربي ، وانقسم النقاد

إلى فريقين : مؤيد ومعارض .

فهناك فريق يؤمن بالالتزام ، وينحث الكتاب والشعراء على اقتراض مادتهم من الموضوعات العربية « الصميمية » والواقع العربي الحاضر ، ويدعوهم أن يتزموا في معاجلتها برأي محمد في شجاعته وإصرار ، وأن يكون كل واحد منهم رائداً وقائداً نحو أهداف الأمة العربية الكبيرة ومثلها الإنسانية العليا^(١) .

وهناك فريق آخر ، يسخر من الدعوة إلى الالتزام ، ويرى أنها دعوة إلى أن ينقلب الأديب داعية سياسياً أو فيلسوفاً منهجياً ، يردد كالبيغاء الحاناً « جاهزة » موضوعة ، وبذلك تضيع حرية الأديب ، وتحد آفاقه ، وتطمس شخصيته ، ويفقد الأدب التنوع والانطلاق .

(١) - يجب أن نشير هنا إلى دراسة للناقد الكبير الدكتور محمد مندور شخص فيها نظرته التحليلية الثاقبة إلى حركة تطور الشعر الحديث مرتبطة بالعقلية العامة للشعب العربي ، فهو يرى أن الدعوة إلى الالتزام في الشعر المعاصر رد فعل للدعوة إلى الشعر الوج다كي التي أثارها العقاد والمازني وعبد الرحمن شكري وشعراء المهاجر في أول القرن العشرين ، والتي كانت بدورها رد فعل للنهج التقليدي الذي لزمه حركة بعث الشعر الحديث على يد البارودي وشوقى وحافظ ااظفر : قضياباً جديدة في أدبنا الحديث : ص ٧٧ - ٨١) . ونحن في كشفنا عن الصلة الوشيجة بين الدعوة إلى الالتزام والنكبة لا نتفاصل نظرة الدكتور مندور ؟ بل نزيدها دعماً وإضافياً ، فالعقلية العامة للشعب العربي عندما دعت إلى الالتزام وثارت على الوجданية الذاتية كانت مدفوعة - في وأينا - بعامل جديد رهيب هو النكبة .

وفي اعتقادنا أن التجربة القاسية التي تعيشها أمتنا العربية منذ الكارثة تدعو الأدباء العرب إلى الهبوط من أبراجهم العاجية ، ليعيشوا على الأرض ، ويسمموا في تعبئة الفكر والوجدان الشعبي العربي ، ويساعدوا على نشر الوعي وتكامله ، ويهداوا الطريق إلى وحدة الأمة وخوض معركتها الفاصلة القادمة ، وإن طبيعة المرحلة العصيبة التي تحيط بها الأمة العربية تذكر على الشعراء الوجدان انزع لهم عن المجتمع وانطوا عليهم على أنفسهم ، وتعيب عليهم أنايتيهم في قصر تفكيرهم على ذواتهم وتسيhirهم الشعور للتعبير عنها ، وتنعى عليهم هر بهم من مسؤوليتهم في علاج مشاكل مجتمعهم ورسم الطريق وتحديد المدفأة شعبهم ! وهكذا تكون الدعوة إلى الفكرة الشعرية الملزمة دعوة إلى خلق أدب هادف يلعب دوراً قيادياً في معركتنا الكبرى .

— ٧ —

وأما قضية «الشعر الحر» أو «الشعر الجديد» فهي ثورة جامحة على التقاليد الشعرية العربية في الشكل والمضمون ، ومحاولة لوضع تقاليد جديدة للشعر العربي .

يقوم الشعر الحر على وحدة التفعيلة في القصيدة ، وتنوع عدد التفعيلات في كل بيت تنوياً يوافق انساب المعاني ، وتوزيع الموجات العاطفية

توزيعاً موسيقياً ملائماً ، واعتبار القافية عنصراً عفوياً غير ملتزم ولا متعمد ، وبهذه الصياغة الجديدة للشعر تحطم وحدة البيت ويضيع استقلاله ، وتحفظ للقصيدة وحدتها «العضوية» بتلاسخ أياتها وترابطها ، ويتم عند ذلك تحرر الشاعر العربي من الأوزان التقليدية وقيودها العاتية ، ومن تحكم القافية الواحدة وطغيانها ، ويكون في وسعه أن ينظم الشعر في قوالب لا حصر لها ، وأن يصوغه صياغة حية متحركة .

ولايكتفي الشعر الجديد بهذه الحرية الفنية في الصياغة ، ذلك أن دعاته يرون في الشعر العربي الكلاسيكي عيوباً في المضمون يجب أن يتخلص الشعر الحر منها ، فالشاعر القديم عندهم شعر إيجاز وتلخيص واكتفاء بـ «اللحمة الدالة» ، وهو لذلك يضيق دائرة التجربة ، ويحصرها من أشخاصها ، ويعبر عنها تعبيراً مكثفاً «محنطاً» - كما يقول الشاعر المجدد صلاح الدين عبد الصبور - ، وهو شعر «تعقيلي» يسبغ على التجربة وقار العقل ويسلبها أروع ما فيها ، وهو انفعاليتها وواقعيتها ... ولهذا فالشعر الجديد عليه أن يجدد التجربة ويسقطها ويعني بإيراد الجزئيات الصغيرة التي تتلاقى ظلالها لتزييد التعبير الشعري عن التجربة عمقاً ووضوحاً وأصالحة ؛ وعلى الشعر الجديد أن يكون صادقاً في تمثيل الجانب الانفعالي من الحياة ، وأن يعبر عن وقع الوجود وأحداثه على الوجдан دونما طلاء أو زيف !

إن الشعر الجديد إذاً هو انقلاب ثوري على الأوضاع الشعرية

التقليدية ، فليس عجياً أن يهتم النقاد بدراسته ورصد أسبابه ، وقد اتهى بعضهم إلى أنه امتداد للرعشة العنيفة التي طرأت على المفاهيم وتناولت كل وجوه الحياة الإنسانية . يقول الدكتور أبجد الطرابلسي : « يجب ألا ننسى أن هذا الانقلاب الثوري الذي أرعش معبد الشعر وعصف بهدوئه في هذه السنين الأخيرة ، لم يكن قاصراً على الشعر العربي ، وإنما هي رعشة عنيفة انسابت في كيان الشعر العالمي كله ، ولم يكن للشعر العربي بد من أن ينجرف في هذا التيار طوعاً أو كرهاً ، لأن سرعة العدوى هي الميزة التي تميز زمننا هذا الذي نعيش فيه ، فلقد محيت الحدود نهائياً أمام الإشعاع الفكري ، وإن الفكر اليوم - أكثر منه في كل زمان مضى - لا يمكن أن يكون ضيقاً ومحلياً ..^(١) »

ولاريب أن وراء الانقلاب دوافع أخرى أيضاً ، وهي دوافع كثيرة ومعقدة ، منها حقد بعض النقوس على التقاليد العربية - أية كانت - واندفعها الضاري وراء تحطيم كل عقيدة ، فهذه شعوبية خبيثة ماكرة تتستر برداء التجديد وتتقنّع بدعوى التحرر والانطلاق ! ومنها غرور بعض الناشئين من الشعراء ، يعجز هؤلاء الوزن وإخضاع القافية ، فيختصرون الطريق ، ويتمرّدون على القيود ، ويأتون بهراء

(١) - انظر مقالة الدكتور الطرابلسي (خواطر في شعرنا المعاصر) في مجلة الثقافة الدمشقية : السنة الأولى ، العدد الثالث تموز ١٩٥٨ .

لأطائل منه ، ويسترون ضعفهم وهزيمتهم وراء دعوى عريضة من التجدد والتهجم على (عبدالتقاليد) من الشعراء المطبوعين ! ومثل هؤلاء الشباب المغرورين هم بحاجة إلى عصا ناقد صارم يغار على قداسة الفن ليصد هؤلاء المستهترین عن تدنيس هيكله ، ويعلمهم أن الأدب عسر لا يسر ، وأن وراء كل أثر فني موهبة صامدة عاملة وتضحية لاحدها من سهر وعرق ودموع وصبر !

غير أن أهم دافع — في اعتقادنا — لهذا الانقلاب الثوري ينبع من النكبة . ذلك أن الهزيمة في فلسطين كانت صدمة عنيفة ، طاش في أعقابها العقل العربي ، فاختلطت موازين القيم أمام عينيه ، وتفجرت في اللاشعور نفحة مسحورة تستهين بكل القيم وتحداها ، فالثورة على التقاليد الشعرية صورة للقلق النفسي والشك والمحيرة والرغبة في التغيير والاندفاع نحو التحرر ، والاشتiaz من الماضي والحاضر .. صورة للهزة الرهيبة التي كادت تحطم الضمير العربي في أعقاب الهزيمة .. وانقسم النقاد أمام هذا الانقلاب فتباين أيضاً : فئة متشائمة ترى فيه اندفاعاً (لاوعياً) واستهتاراً مراهقاً مغروراً ، وتساهلاً رخواً عاجزاً عن توفير القداسة للفن ، وأكثر هؤلاء النقاد المتشائمين — وعلى رأسهم الأستاذ عباس محمود العقاد — يرفضون أن يسموا الشعر الجديد شعراً ! وفئة أخرى متفائلة ، فهي لا تتوجس ولا تخوف من هذا الانقلاب ، وهي ترى في الشعر الجديد محاولة تطورية ، ونزوعاً إلى

التجديد والحياة ، وفي مقدمة هؤلاء المتفائلين الدكتور محمد مندور الذي يدعو الناقفين على الشعر الجديد أن يبذلوا احاولات مخلصة لفهمه واستنباط مواطن المجال فيه .

وفي اعتقادنا أن الشعر الجديد تجربة لا ضير منها ، فلاهي - وقد رأينا في الفصول السابقة من الكتاب نماذج ناجحة منها ، وسنرى في الفصل الأخير نماذج أخرى - « بهذيات الحمومين » كما يسميتها الشاعر المحافظ عزيز أباظة ، ولا هي أيضاً « بالثورة التي تجعل من عصرنا عصراً شعرياً ذهبياً » ، كما يقول الشاعر المحدد صلاح الدين عبدالصبور ، وليس من ريب في أن هذه التجربة إذا قادها الوعي الفني والقومي والإنساني بعمق وموهبة وأصالة ، كان لها مستقبل في صياغة الفكرية الشعرية صياغة جديدة حية متحركة ، وفي تطوير الشعر العربي الحديث كله .

— ♪ —

وختامة القول أن شعر النكبة هو لباب الشعر العربي المعاصر وجوهره ، وأنَّ في دراسته ورصد تياراته وتقويم خصائصه دراسة ورصداً وتقويمًا للاتجاه الرئيسي الفعال في الأدب المعاصر كله .
إذا كانت كارثة فلسطين القومية الكبرى نكبة للأمة العربية ،

وتجربة هزت أعماقها، وأظهرتها على أنها في حاجة إلى تطوير أو ضماعها وتحقيق
أساليب تفكيرها وعملها وحياتها ، فإنها نعمة ونعمه في آنٍ معاً ! ذلك
أن إيقاظ أمة غافلة من نومها السحيق العميق ولقتها إلى ضرورة البناء
الجاهد الدائب لإزالة معالم النكبة ، نعمة أية نعمة !

ولكن النكبة هي دون ريب نعمة خالصة على الأدب العربي
المعاصر ، والشعر منه بخاصة ، فقد قدمت له غذاء دسمأً ومادة لا تندى ،
ودفعته في طريق التطور والتجدد والحياة !

إن الجيل العربي الذي عاش ليل النكبة ، واستيقظ على فجائعها
وأهواها السود ، لا يزال يرقب ميلاد الفجر ، وإنه لقريب ، وقد
لاحت بشائره ، وعلى شعراء النكبة أن يتبعوا إنشاد أقوى الألحان
وأصواتها ، وأن يزيدوا في تعميق الوعي القوي الإنساني المؤمن
الخير ؛ وأن يضخّموا منابع الأمل والتفاؤل والثقة بالنفس العربية ،
وأن يدفعوا الطاقة العربية إلى إدراك ذاتها ، والإيمان بماضيها ومستقبلها
وأن يهيئوها ويعدوها للقيام بدورها المنتظر في تطوير حاضرها ،
بخوض معركة الوحدة والثأر والتحرير .



الفصل السادس

منتخبات من ديوان النكبة

ديوان النكبة هو هذه المجموعة الضخمة من الشعر الذي صاغته النكبة بلسان عدد كبير من الشعراء ، وهو شعر يكاد يستعصي على الجمع والحصر ، ذلك أنه منتشر في تضاعيف دواوين الشعراء المعاصرين للنكبة ، ومبعثر في بطون الكتب والمجلات والصحف ؛ ولما لم يكن من السهل على كل يد أن تصل إليه أو إلى الكثير منه ، آثرت أن أورد منه في هذا الفصل الأخير من الكتاب مختارات متنوعة ، تعين القاريء على توثيق صلته بشعر النكبة وتعزيق فهمه وإدراكه لخصائصه الفنية ، وكل رجائي أن تزيد هذه المنتخبات دراستي التخطيطية المحملة لشعر النكبة إيضاحاً وأن

تساعد على إبراز الأثر الكبير الذي تركه نكبة فلسطين في الشعر العربي المعاصر .

- ١ -

كان ثورة فلسطين عام ١٩٣٦ - ١٩٣٥ في الدور الأول من النكبة صدى لاهب في كل قطر من أقطار العرب، ودوّى صوت الشعر يحيي آلام النفس العربية وأشجانها، ومن لبنان كان صوت الشاعر المسيحي الكبير بشارة الخوري يهز الصهاينة، ويمجد شهداء الثورة ومنكوبها، ويدعو الأمة العربية إلى الإسهام في البذل والفتاء^(١) :

سائل العلیاء عننا والزمانا هل خفرنا ذمةً مذ عرفانا
المرءات التي عاشت بنا لم تزل تجري سعيرآ في دمانا
ضحك المجد لنا لما رأينا بدم الأبطال مصبوغاً لوانا
عرس الأحرار أن تسقى العدى أكؤساً خمراً وأنغاماً حزانياً

يا جهاداً صدق المجد له لبس الغار عليه الأرجوانا
شرف باهت فلسطين به وبناءً للمعالى لا يداني
إنَّ جرحاً سال من جبهتها لثمه بخشويع شفتنا

(١) - ديوان الهوى والشباب ص : ١٦٨ - ١٦٥ .

وأينَا باحتِ النجوى به عريساً رشته مقلتنا

كابدَتْهُمْ من أسى ننسى أنسانا
قد رضي عناه من المهد كلانا
كعيتانا و هوى العرب هوانا
أنفساً جبارة تأبى الهوانا
كيفما شئتم فلن تلقو جبانا
لم يزدها العنف إلا عنفوانا

يا فلسطين التي كدنا لما
نخن يا أخت على العهد الذي
يثرب والقدس منذ احتلما
شرف للموت أن نطعمه
انشروا المهوّل وصبواناكم
غذت الأحداث منا أنفساً

لمسة تسريح بالطّيّب يداننا
به صوم الفُصح به رمضاننا
حقنا ، نمشي إليه أين كانوا

قم إلى الأبطال نلمس جر حهم
قم نجح يوماً من العمر لهم
إنما الحق الذي ماتوا له

- ٢ -

ومن العراق علت صرخة الشاعر محمد مهدي الجواهري في الدور
الأول من النكبة ، يدعوا العرب إلى القوة والسلاح ، ويحذرهم من
الغفلة والنوم أمام نهم الطامعين في الاستيلاء على الوطن العربي ، بلداً
بعد بلد ، وينذرهم بأنهم سيضيعون فلسطين ومكة وبغداد ودمشق

- ٩٧ -

في شعر النكبة (٧)

إذا لم يفتحوا أعينهم على الخطر ، ويعدوا له ما يستطيعون من أسباب
القوة والصمود^(١) :

فاضت جروح فلسطين مذكرة جرحاً بأندلسِ لأن ما التما
يأمة غرها الإقبال ناسية
أن الزمان طوى من قبلها أما
عشت نواجذها من حرقةِ ندما
كانت كحالة حتى إذا انتبهت
ويغطون عليها البيت والحرما
سيُلحقون بفلسطيناً بأندلسِ
ويسلبونك بغدادَ وجائفةَ
ويتركونك لا لحما ولا وضها
يا أمّةٌ لخصومٌ ضدّها احتكمت
كيف ارتضيت خصيّاً ظالمًا حكماً
بالمدفع استشهدت إن كنت ناطقةَ
أورمت أن تُسمّى من يشتكى الصما
سلي الحوادث والتاريخ هل عرفا
حقاً ورأياً غير القوة احترما
ضعى على هامةِ جبارهِ قدما
لا تطلي من يد الجبار مرحةَ
ولست أعظم منها واجداً قسماً
أقسمت بالقوة المعتز جانبها
منه العروبة إلا الشوك والألماء
إن التسامح في الإسلام ما حصدت
عند التزاحم إلا الصارم الخذما
في حين لم تعرف الأقوام قاطبة

فيا فلسطين إن نعدمك زاهرة هضما
فاست أول حق غيلة هضما
هزت رزايك أو تاراً لنا هضنة
في الشرق فاهتجن منها الشجو لالنغا

(١) - الفلسطينيات - مجموعة قصائد جمعية الرابطة العالمية الأدبية في النجف:

ثار الشباب ومن مثل الشباب إذا
ريع الحمى وشواط الغيرة احتدما
يأبى دمّ عربى في عروقهم
أن يصبح العربي الحر مهتضما
لا يأبهون بارهاب، إذا احتدموا
ولا يصرعهم إن شعبهم سلما

— ٣ —

ومن سوريا كانت أنات شاعرها الكبير عمر أبي ريشة تروي
منذ الدور الأول للنكبة حكاية مصرع المجد عند تربة المسيح وعيشان
اليهود في الأرض المقدسة رغم أ NSF الرجال^(١) :

وقف على تربة المسيح وشاهد	مصرع المجد فوق طهر الرمال
عاث فيها المشردون رضيعو	بن الذل في مهود الضلال
كل يوم يرمون جمرة بغي	في هشيم من نقمـة ونـكـال
والرجال الأباء رغم إبـاهـا	تختـضـ الـهـامـ ، يـاغـرـامـ الرـجـالـ !
نـكـدـ الـدـهـرـ أـنـ يـنـالـ جـيـانـ	مـشـدـدـ الـأـغـلـالـ
وإـذـ النـابـ وـالـخـالـ طـاحـت	لـطـمـ الذـئـبـ جـبـهـ الرـئـالـ !
قـلـ لـمـنـ يـرـعـفـ الحـسـامـ بـكـفـيـ	ـهـ ضـلـالـاـ منـ أـكـبـدـ الـأـبـطـالـ
إـنـ صـوتـ الطـعـنـاتـ تـخـرـ فيـ العـظـ	ـمـ وـتـزـجيـ الـأـهـوـالـ بـالـأـهـوـالـ
كـصـرـيرـ الـمـسـارـ فـيـ كـفـ عـيـسـىـ	ـلـيـسـ تـنـسـىـ صـدـاءـ أـذـنـ الـلـيـالـىـ !!

(١) - عمر أبو ريشة : شعر ص ٢١٢ - ٢١٣ .

وعندما وقعت الكارثة سنة ١٩٤٨ وقضت الخيانة أن تقوم لإسرائيل
دولة في فلسطين وأن يبوء العرب بالذلة والانكسار ، سالت دموع
الشاعر وانطلقت اللعنة من فمه تدمغ الجناء وتدينهم^(١) :

أمي هل لك بين الأمم منبرٌ للسيف أو للقلم
أتقاكِ وطفي مطرقٌ
خجلاً من أمسك المنصرم
ويكاد الدمع يهمي عابثاً
يقياً كبراء الألم
أين دنياك التي أوحت إلى
وترى كلَّ يتم النغم
كم تخطيت على أصدائه
ملعب العزّ ومعنى الشتم
مئري فوق جبه الأنجم
وتهدادٍ كأنني ساحبٌ
وانطوى خلف جفون الظلم
حلمٌ منْ باطیاف السنـا

أمي ! كم غصة دامية
خنقت نجوى علاك في في
أي جرح في إبائي راعف
فاته الآسى ، فلم يتثنم
في حمى المهد وظل الحرم
كيف أغضيتك على الذل ولم
تنفضي عنك غبار التهم
أو ما كنت إذا أبغى اعتدى
موجة من لهبٍ أو من دم
فيهم أقدمت وأحجمت ، ولم
يشتفِ الثأرُ ولم تنتقمي
وانظري دمع اليتامي وابسمي

(١) - عمر أبو ريشة : مختارات ص ١١٠ - ١١٤ .

واتركي الجرحى تداوي جرحها
 ودعني القادة في أهواها
 رب «وامعتصمه» انطلقت
 لامست أسماعهم لكنثها

وامنعي عنها كريم البسم
 تتفاني في خسيس المغمٌ !
 ملءَ أفواه البنات اليتمَ
 لم تلامس نخوة المعتصم !

أمتى ! كم صنم، مجده
 لا يُلام الذئب في عدو انه
 فاحبس الشكوى فلولاك لما
 لم يكن يحمل طهر الصنم
 إن يك الراعي عدو الغنم
 كان في الحكم عبيد الدرهم

أيها الجندي يا كيش الفدا
 ما عرفت البخل بالروح إذا
 بورك الجرح الذى تحمله
 يا شعاع الأمل المبتسم
 طلبتها غصص المجد الظمي
 شرفاً تحت ظلال العلم

وأقبل العيد عام ١٩٤٩ على الشاعر فتلقاء حزيناً كسير القلب^(١) :

يا عيدُ ما افترَ ثغر المجد يا عيدُ
 فكيف تلقاك بالبشرى الزغاريدُ
 و كيف ينشقَ عن أطيافَ عزَّتنا
 حلمُ وراء جفون الحق موءود
 طالعَنا وجراحُ البغي راعفةُ
 وما لها من أساة الحيِّ تضميد
 فللقجيعةِ في الأفواه غمغمةٌ
 وللرجلة في الأسماع تنديد !

(١) -عمر أبو ربيعة: مختارات ص ١٠٤ - ١٠٦.

فأين من دونها تلك الصناديد
وسيفها في قراب الذلِّ محمود
على الليالي ، عباديدٌ رعاديد
لا يلطم الليث إلا وهو مصفود

قتلك رايتنا خجلى منكسة
ما بالها وثبت للثار وانكفات
يا للشعوب التي قادت أزمتها
 فأطمعت كلَّ باغٍ في كرامتها

ها على الرفوف العلوى تعيد
والعزَّ عند أباءِ الضيْمِ معبد
فالحقد مضطرب والعزم مشدود
ونحن في فه المشبوب تغريد !

ياعيدُ كم في رواي القدس من كبد
سالت على العزَّ إرواءَ لغضته
هيئات لن يشتكى ماُطلَّ من دمها
سينجلي ليلنا عن فجر معترك

— ٤ —

وكان الشعراء العرب في المهاجر الأميركي يحيون من وراء البحار
فلسطين وجهادها ، ويكون جراحها في صدق وحنين ؛ وفي الدور
الأول من النكبة اجتمع المهاجرون العرب في بروكلن عام ١٩٣٨
بمناسبة ذكرى وعد بلفور المشئوم ، في حفل كبير، وألقى أحد شعراء
الرابطة القلبية في المهاجر ، السيد نسيب عريضة ، قصيدة تفيض
باللوعة والألم^(١) :

(١) - الأرواح الحاذرة : ص ٢٦٠ - ٢٦٣

نرايكِ في الكربة المطبلة
ونهفو ، وأبصارنا مطرقة
نحييكِ بالدموع المحرقة

فلسطين ، من غربةٍ موثقهٍ
فتعلو وتهبط منا الصدور
ومن خلف هذا الخضم البعيد

فطارت شرارتها مبرقة
فضاقت به القوة المرهقة
بأرواح أبنائك المزهقة
وبعض البلية ما أرقه
ولكن حبل النوى أوثقه
ويصبح والعين مغورقه
وتأسى الأمانى مخلوقه
وكظم الصدور على المخنقه
في ليه عطش المحرقة
خلفنا من الدمع أن يغرقه !

جهادُكْ أورى زناد التفوس
جهاد ملأت به الخافقين
وسيطرت آياته في الخلود
فلسطين ، كم آرقَ يبتنا
إلى ساحة المجد فيك يتوقف
فيسمى على ثورة في الحشا
وتبكى المروءة مجروبة
لدمع اليتيم وأم اليتيم
حذار من الدمع يا أوصياء
 ولو صادف الدمع أسطولكم

لوعدِ بلفور قد لفقة
أجتمِ حماها مسترزقه

خفرتم عهود الولاء الجميل
ذبحتم فلسطين ، يا ويحنا

بني ربّة البحر ، لا تشمروا سلو الدهر ينشكم عن ثقه

إذا نظر الكون شذراً إلينا فاعينا تحسن الحلمقة
وإن يرعب العصف في ذلنا فويل المذل وما أحمقه

فلاسطين سيراً إلى المشنقة فلسطين صعداً على المحرقة
وموتى فلسطين! فالموت فخر فداء حرية مطلاقيه !

- 8 -

وحمل شعراً المهجّر على «بلفور» ووعده، وسخروا من كرمه الانكليزي حين يسخون على اليهود فيما يهم بقطعة أرض ليست من بلاده كما يقول شاعر المهجّر الأول إيليا أبو ماضي في قصيدة «فلسطين» وهي أبيات تذوب الفاظها سهولة ورقه وموسيقاً، وتتوّب معانيها قوة وعنفاً ورجولة، وفيها جانب من السندي الجندي الذي يدعم حق العرب في فلسطين، ويذكر باطل اليهود ويهدّم مزاعمهم وادعاءاتهم، وهذا شيء لم يتّبه إليه أكثر شعراً النكبة الآخرين، ولم يعنوا به،

كما فعلنا ذلك في الفصل السابق^(١) ، يقول أبو ماضي^(٢) :

ديار السلام ، وأرض هنا يشق على الكل أن تحزنا
فخطب فلسطين خطب العلا وما كان رزء العلا هيمنا
سهرنا له فكان السيوف تحز بأكبادنا هنا
وكيف يزور الكرى أعينا
وكيف تطيب الحياة لقوم
بلادهم عرضة للضياع
يريد اليهود بأن يصلبواها
وتائب المروعة في أهلها
أرض الخيال وآياته
تصير لغوغائهم مسرحا
فقل لليهود وأشياعهم
ألا ليت «بلفور» أعطاكم
(فلنلن) أرحب من قدسنا
فليست فلسطين أرضاً مشاعاً
إإن تطلبوها بسم القنا
ففي العربي صفات الأنام سوى أن يخاف وأن يحبنا

(١) - انظر ماتقدم ص ٨٤ .

(٢) - الحائل : ص ٩٤ - ٩٦

وإن تحجلوا يبتنا بالخداع
 وإن تهجروها فذلك أولى
 وكانت لأجدادنا قبلنا
 وإن لكم بسوهاه غنى
 فلا تحسبوها لكم موطنًا
 وليس الذي نبغيه محالاً
 نصحتكم فارعوا وابذوا
 وإنما أيمم فأوصيكم
 فإنما سنجعل من أرضها
 وليس لنا بسوهاه غنى
 فلم تك يوماً لكم موطنًا
 وليس الذي رمت مكنا
 «بليفور» ذيالك الأرعناء
 بأن تحملوا معكم الأكفنا
 لنا وطنًا ولكم مدفنا

- ٦ -

وللشاعر المجري الياس فرات شعر كثير في فلسطين
 ونكتتها، فإذا قرأنا مقالاته منه قبل التقسيم طالعنا زئير الشاعر العربي
 المعتر بأمته، الواشق بعزمتها ونجدتها، وهو يهدى اليهود الطامعين ويتوعدهم
 بالزحف العربي لإنقاذ الأرض المقدسة^(١):

لييك لييك ياريحانة العرب يا بنت عدنان يا معصومة النسب
 النيل يزحف والعاصي ليشتراك والرافدين مع الأردن في الغلب

(١) - الخريف : ص ٦٢ - ٦٦

والرملُ أو مثله عداً ستقذفه من الجزيرة ريحُ الحقد والغضب
 يامن طغوا وتمادوا عاقدين على وعدِ سخيف بناءً شامخ القبب
 ستعلمون متى حاق البلاء بكم كم في الوعود وفي الآمال من كذب
 وكم يك足 تهيج الأسود وكم خلف العتو والاستفزاز من نوب
 ستدمنون ولكن حين لا ندم" يجدي ولا أسف ينجي من العطبر
 ساغسل القدس من أوساخ أمتك يا أمّة الوسخ المطلي بالذهب
 والتلُّ ، تل أبيب سوف تتركها تلًا من الردم في بحر من اللهم
 بنيتموها بمال السحت عاصمة وليس يعصمكم منها سوى الهرب

صبر فلسطين، من بدو ومن حضر سُتُّنصرين ، ومن ثاوٍ ومترب
 إذا أباحك ضادي" لغتصب فقد أباحَ كريم العرض والحسب
 فلما تم التقسيم واتهت المهزلة الحرية بخيانة الملوك والرؤساء
 كان ألم الشاعر فرات عميقاً حقاً ، ناسه في ثورته العارمة على الخونة
 ودعوه الشباب العربي إلى الثأر ومحو العار^(١) :

أشباب يعرب قم فنحن هنا نلقى بملء صدورنا المخنا
 قم نمح عاراً تحت وطأته كادت تمس جمائنا الدمنا
 قم ردنا للحق نعبد إناً لنوشك نعبد الوثنا

(١) - الخريف : ص ٨٨ - ٩٠

لولا رجاء النازحين عن ||| أوطان فيك لأنكرروا الوطن

فَلِلْمُغَيْرِ عَلَى مَنَازِلِنَا كَالسَّيْلِ يَنْفَذُ مِنْ هَنَا وَهُنَا
حَمَلْتَ نَفْسَكَ فَوْقَ طَاقَتِهَا وَرَكِبْتَ وَيْلَكَ مِرْكَبًا خَشِنَا
إِنْ لَمْ يَكُنْ زَمْنٌ يَوْافِقُنَا لِلثَّأْرِ مِنْكَ سَنْخَلَقَ الزَّمْنَا
فَاجْعَلْ ضَرِيْحَكَ جَاهِزًا أَبْدًا وَأَعْدَّ نَفْسَكَ وَاحْمِلْ الْكَفْنَا

وإذا لقيت ذوي الجلاء من ساداتنا المحكمين بنا
وذوي السمو وكل ذي لقب خاو كصاحبه قليل غنى
فاهزاً بألقاب لهم سمنت وكرامة هزلت أسي وضني
ديست بأقدام اليهود فيا شم الأنوف استنشقوا الدرنا

أَمْهَدْ مِنْ بُسُوءِ دُخُلِتِهِمْ يَوْمَ الْكُرْبَيْةِ مَا صَلَحْ بْنِي
دُقُوا وَغَنُوا فِي مَا تَنَا لَكُمُ الْبِدَاءُ وَالْخَتَامُ لَنَا
فَسْتَأْكُلُونَ أَكْفَكُمْ نَدْمًا وَسْتَشْرِبُونَ دَمَوْعَكُمْ حَزْنًا
وَسْتَدْفَعُونَ لَكُلِّ سَائِلَةٍ عَنْ عَرْضَهَا أَعْرَاضَكُمْ ثُنَانًا

وحملة فرحت على الملوك وخيانتهم تذكرا بسياط أبي سلمي التي

ألهب بها ظهورهم و كشف بها مخازيمهم . يقول فرات (١) :
 ملوك ظنناهم صوراً و عندما
 غزينا رأينا صاحب التاج هدهدا
 أباحوا لأجلاف اليهود جبانة
 بلا دأ أغار المجد فيها وأنجدا
 وعرضوا كأعلى الشمس أدناه أوجلت
 ذراري الخن فيه لساناً مهدداً
 فكانوا على الأوطان شرآمن العدا
 هدوا عن عصابات العدا باختلافهم
 مطامع أفراد بيراث أمة
 مبعثرة يخشون أرن توحدا

ويقول فرات أيضاً (٢) :

رأيتم الأقىال والأمراء
 لأذل من وطىء الثرى استخداه
 أثقاها الإخوان والأبناء
 شرقاً وغرباً غيمة سوداء
 لحو العدا انقلب الزئير مواء
 فتقاسوها بينهم أشلاء
 ملك يقيم الجند والوزراء
 أعمى يجر وراءه عمياء
 بشاره فيصفقون دماء
 أرأيتم الزعماء كيف تخاذلوا
 ذل الجميع على على ألقابهم
 حملوا المعرة طائعين فحملوا
 نشرت مخازيمهم على آفاقنا
 يتذاءرون كأنهم أسد فإن
 كبرت فريستهم على أقدارهم
 كثر الملوك فكل منطقة لها
 ييشي بها متعرضاً فكأنه
 والكافدون لنا يرون هلاكا

(١) - الخريف ص : ٩٩ - ١٠٠

(٢) - الخريف ص : ١٣٩ - ١٤٠

لقد كان الشعراء المغتربون في المهاجر تؤرّقهم أنباء النكبة الفلسطينية منذ الدور الأول وما يلاقيه العرب في الأرض المقدسة من اليهود وعصاياتهم في ظل ظليل من حماية السلطة الانكليزية ، وكانت أمنية المهاجرين أن يظهر بين العرب صلاح الدين الجديديقود حركة الجهاد في فلسطين ، وهذا صوت الشاعر المغترب جورج صيدح يسأل سنة ١٩٣٨ أين سيف صلاح الدين؟^(١) :

واهـا فلسطينكم غازـ قهرـتـ وكم
جيشـ رددـتـ علىـ الأـسـوارـ منهـزمـ
حتـىـ لـطـمـتـ بـكـفـ لـاسـوارـهـاـ
حـالـةـ الـقـوـمـ مـنـ شـتـيـ الـدـيـارـ أـتـ
ماـهـاـبـهـمـ ظـلـ فـخـرـ الـأـنـبـيـاءـ عـلـىـ
فـأـينـ سـيفـ صـلـاحـ الدـيـنـ يـرـدـعـهـمـ
شـعـبـ بلاـ وـطـنـ ،ـ جـنـدـ بلاـ عـلـمـ
بـيرـقـ الدـيـنـ تـخـفـيـ وـصـمـةـ النـهـمـ
تـلـكـ الـبـقـاعـ وـمـثـوىـ أـقـدـسـ الرـمـمـ
أـمـاـهـ لـخـفـ فيـ العـرـبـ كـلـهـمـ

بنيـ فـلـسـطـينـ ،ـ سـيـلـ الـغـاصـبـينـ طـاـ
كـوـنـواـ لـهـ السـدـ لـاـيـعـنـوـ لـمـقـتـحـمـ
نـادـواـ الـأـخـوـةـ فـيـ الـعـرـبـاءـ قـاطـبـةـ
وـاسـتـجـدـواـ بـنـيـ الـأـعـمـامـ فـيـ الـعـجمـ

(١) - ديوان التوابل : ص ١٣٠ - ١٣٢ ، وقد جعل الشاعر ربيع هذا الديوان كله لمناصرة لجان الدفاع عن فلسطين ، وهو مطبوع سنة ١٩٤٧

لعل غضبكم تسرى إلى رحمكم في المهاجر من عين تراقبكم وكم يد بالندى تسخو لتجدتكم

في الشرق أو تلتقي في الغرب في الذمم وكم فؤاد بثار الوجد مضطرب وكم لسان لكم يدعوكم قلم

جاوزتم شأوه في حلبة الكرم وصاية فرضتها عصبة الأمم تقوم فيها مقام الخصم والحكم إن نام فيه بنوصييون لم ننم مهلاً خالق (بلفور) الكريم لقد حامي حمانا، حمان الله منك ومن أكل شأنك ار GAM الشعوب وأن مهد النبوة نأبى أن تدنسه

وفي عام ١٩٤٣ يزور بعض الأمراء السعوديين الولايات المتحدة، فيذكرهم الشاعر المغترب صيدح بأسامة البلاد المقدسة، ويتغنى بالدعوة إلى وحدة العرب، مسلميهم ومسيحيهم، لإيقاذ الوطن المهدّد^(١):

علمتك السيف ما ليس تعلم لاتطوله الحال، أنياب أرقم لنقيم الصلاة لadar أعمّ وضریح المصلوب ما كان منجم أم حلال الشعوب فيما حرم

شعب صهيون إن جهلت علينا إن للقدس راية ليس تُطوى ذاك «واد بغير زرع» سكتنا جل مهد المسيح ما كان سوقاً أو ضاقت مجاهل الأرض عنكم

(١) - ديوان النواقل ص: ١٤٥ - ١٤٧ .

وعدوكم بنا والله وعدكم بعذاب لظالمين مختتم

قل ملن دس في الصفوف شقاقاً
 بين طه وبين عيسى بن مريم
 جحد الدين حاجد الوطن الغا
 لي سواه مقلنس ومعهم
 علم الله ماغوى عيسوي
 إن دعاه الجهاد لبى وأسلم
 والنبي الذي يحرر قومي
 قلت : صلى عليه ربى وسلم !

وتحل الكارثة ، وتصرخ فلسطين ، وتقوم بها دولة لإسرائيل ،
 فيقول صيدح شعراً تلفحنا منه زفرات تؤج كالنار من قلب تدميه
 الحسرة على الأرض العربية الشهيدة ، وفي قصيدة (الحجيج) التي
 قالها في سنة ١٩٤٩ نكاد نلمس (نبضات) الألم وهي تضطرم في
 أعماق نفسه^(١) :

حجوا جناح الله واعتصموا
 ياقاضي الحاجات كن لهم
 إن الحجيج يخضم أمل
 غير الحجيج يحزهم الألم
 علم على الحرمين ذكرهم
 بالثالث الهاوي به العلم
 بالمسجد الأقصى ، بغيرته
 بما تم في العيد تتضخم
 بفواجع في الدور نازلة
 لم تنبع من أهواها الخيم
 حملت فلسطين الصدور إلى
 قبر الرسول إليه تختكم

(١) - ديوان نبضات : ص ٢٥-٢٦

تستشفع الأضحى وحرمته
في موطن هانت به الحرم
والغاصبون بيتها ازدحروا ...
في أمةٍ للبيت زاحفةٍ

الفأر يلعب في عراتها
العايشون بحقنا اتحدوا
حتى متى هذا الخنوع لهم
ثوري عليهم إنهم رمُّ
قسمًا بأوطانِ أقدسها
للعرب أوضاعٌ إذا انحطمت
يا يوم يغلي في العروق دمُ
سنرى الدخيل بعض أصبعه
والمالكين هوت أرائكُهم
فبكوا لو استطاع البكا صنمُ

ثم يرجع الشاعر النازح إلى وطنه ، وعار أمه في فلسطين يقض مضجعه ، وفي قصيدة (الغراب الغازي) يقص علينا الشاعر العائد قصة ذلك الغراب الذي اقتحم عليه غرفته في بمحodon ، فخيَّل إليه أنه قادم من هناك .. من اسرائيل^(١) :

تطيرتْ من ناعب في الصباحِ دخيلٍ على مهرجانِ السنَا

(١) - أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الاميركية ص ٥٤٢ - ٥٤٣

مغيرٍ يزق شمل الرياح
 غمامه غمَّ تجاه الطاح
 تفزع منه عيون الأقادح
 تسرُّب في غرفتي واستراح
 كأني اعتزلت حياة المراح
 خلا الجو من هينات الصداح
 أنا بى جوار الغراب الواقاح
 ومن أنا الطير أن اجتياح
 وأن انسابي إلى يعرب
 يحفل مأواي للأجنبي !
 وأني أهدده بالفنا
 بكفى، وكفى خات من سلاح؟

أضيف هنا إن بيبي المباح
 وزادي - أعيذك منه - جراح
 شهرتُ عليك لسانِي الصراح
 سألك بعد الغدو الرواح
 وماضر لوزرت (تل) السفاح
 هنا لك سربُك يجني الربح
 كرهُتك ضيفاً دجيَ الوضاح
 صغيرٌ يضيق بضيق المنا
 أغمس فيها فتات الضنى
 فأعيا ، أطولُ منه القنا
 عسى البين يصلح ما يتنا
 وعششت بين وكور الخنا
 ولا يسأل اللصر عمما جنى
 دجيَ الحواشِي دجيَ المُنى

إذا وصفتك القوافي الفصاح دعوت عليها بأن ترطنا
 تسي وأنت طليق السراح ويرزح بالقييد من أحسنا
 أحلت عليك النسور الغضاب
 ولكن .. حسدتك يا ابن التراب
 ترود الأعلى وأبقى هنا فعندك ماليس عندي - سلاح !

— ٨ —

وليس غريباً أن يجمع بعض الشعراء بين نكبة العرب بفلسطين
 الشهيدة ونكبتهم بالأندلس ، فهذا هو الشاعر اللبناني الاستاذ محمد
 علي الحوماني يغمس ريشته بدم قلبه ليكتب سنة ١٩٥٣ مو شحة حزينة
 يسميها « أندلس الشرق » ^(١) :

ويـك يا جـامـعـة العـربـ ذـوى غـصنـ المـجدـ وـمـا يـكتـسـ
 أـينـ مـنـ يـوـمـكـ فيـ وـادـيـ (ـطـوىـ) يومـ (ـفـرـدـيـنـانـدـ) فيـ الأـنـدـلـسـ ؟

صـيـحةـ دـوـتـ عـلـىـ كـلـ فـمـ وـقـرـ الذـعـرـ بـهـ سـمـعـ الزـمـنـ
 فـأـنـبـرـىـ طـوـعـاـ لـهـ كـلـ كـمـيـ نـافـرـاـ مـنـ (ـحـلـ) حـتـىـ (ـعـدـنـ)

(١) - ديوان النخيل : ص ٣٤ - ٤٥

بادلاً من دمه أغلى ثمن
أين من عينيه بيت المقدس
فصلي يا أرض منهم والبسى

ينشد العزة إرث المسلم
يضرب الأرض ويستوحى السما
هاتفاً بالعرب من كل حمى

حررت آباوهم شطآنَهُ
والشام اعتنقت عمانَه
تتقى شهبُ السما سودانَه
وإذا اليرموك ضاحي الغلشن
يتلقى وثبة المفترس

حفل (اليرموك) بالصيد الأولى
عائق الأردن فيه الموصل
ومشت مصر تقود الجحفلة
فإذا غزة سوداءُ الضحي
وإذا صهيون في شقى رحى

فاستفزَ الذعر قلب الرافدين
بالأناشيد تهزَ الخافقين
هاتفاً بالأسد خلف الغوطتين
ينشد العزة فوق القدس
وللمغيرين على نابُوسِ

زمجرت نجدُ وثارت جاقُ
ومشى تحت العجاج الأزرق^(١)
وتعالى للسماء الأبلق^(٢)
فإذا المسلمُ في بحر الدما
وإذا يعرب يُزجها الضما

(١) - الأزرق نهر في شرق الأدرين

(٢) - الأبلق جبل في الإقليم الشمالي (سورية)

ثم ماذا كان ، والكون دجا
ومشي الجند يشق الرهبا
... كانت الهدنة ، يا بئس الرجا
عفروا بالمشتري وجه الثرى
و اذا الثعلب يحتل الشرى
والسماء امتلأت بالشهب
باعثا في الأرض مجد العرب

من رأى الأَيْمَنِ في عرض الفلاة نهب ثكل وشقاء ووصب
هتك حرمتها أيدي الجناة من عدوئها : يهود وعرب
فاستوى الموت لدتها والحياة تحت بؤسین : هوان وسغب
لا الأَبُّ الحارس يحميها ولا هي من أمتها في حَرَسِ
معقل الآباء إذ منهم خلا عاد بالأَبناء واهي الأَسس

يا مغيب الشمس جددت الأسى
في فلسطين بما لم يُطِقِ
نَكبات بذلت الأندلس
إذ تبناها بنو المصطلق^(١)
كَلَمَا قيل انتهت قلنا عسى
أن يعود الشرق غض الشفق
و «عسى» كانت ولم تبرح لدى
كل جيل عدة المبتش
ذهب العمر مع القول سدى
وسوى الأقوال لم ناتمس

(١) - بنو المصطلق : قبيلة يهودية في جزيرة العرب

كانت مأساة فلسطين تشغل منذ الدور الأول من النكبة أكثر شعراء العالم العربي ، فكانوا إذا بدوا في شعرهم مصانب أمنهم خصوا فلسطين بالدمعة السخينة ، وصرخوا في النائمين الغافلين صرخة الإنذار والتنبية، وفي عام ١٩٣٨ كان الأستاذ خليل مردم بك يستثير همة العرب لِمَأساة اللواء وأحداث الاسكندرية بقصيدة عامرة عرج في آخرها على فلسطين ، وثار على ما رأه من تخاذل العرب عن نجدها^(١) :

بني العروبة كم من صيحة ذهبت لو يستشار بها الموتى إذا ثاروا
إن الحوادث لو أدركم عبر فأين—لا أين—أباب وأبصار
الرحم واشجة والدار جامعة فلم تقطع أرحام وأقطار
هتم على كل شعب من تخاذلكم شأن العبيد وبقي الناس أحرار
لم تُعن كثرتكم عنكم كأنكم على المزيد—ولا أرقام—أصفار..
تُخرّبون بأيديكم بيوتكم جهلاً أكلكم يُعرب أنمار
ياليت شعري ماذا يستفزكم حمى مباح وإذلال وإفقار
أرى الحجارة أحلى من أنوفكم كم أرسلت شرراً بالقبح أحجار
إخوانكم في فلسطين، تناهم بالسوء والعسف أنياب وأظفار

(١) — ديوان خليل مردم ص ١٣٦ .

مهد المسيح و معراج النبي وأولى القبلتين بهما يأمن الجار
كم ريح سربٍ يهابنياً وكم هتك من حرمة الحرم القدسي أستار
أين السوابق للأجلِي إذ نزلت إن الحوازب والأحداث مضمار

— ١٠ —

وفي قصيدة من قصائد شاعر الشام الأستاذ شفيق جبري ، التي
مجَّد فيها ثورة العرب ، مثلت لعينيه فلسطين « وهي — كايقول — ليست
لأهل فلسطين وحدهم ، وإنما هي للعرب كلهم » فراعته جراحها
وآلامها فقال ^(١) :

أيعيث اليهود في حرم القد
س فساداً والنوم يأخذ منا
لفظتهم جوانب الأرض شذا
ذآفتابوا القرون قرناً فقرناً
ضجرت منهم الشياطين والإذ
س فأنّي نحن عليهم أنّي
احصدوهم حصداً السنابل حتى
تدعى صهيون ركناً فرّكناً
لو تمور السماء والأرض ماداً
أربعَعَ لو تُطيق رجع بيان
لتعلى البيان فيها ورناً
وكأنّ البحار تُرسل ضغناً
فكأنّ الجبال تُقذف حقداً

(١) — أنا والشعر : ص ٣٠

كم لفيف على رفات لفيف، ضاحك في جهاده يتغنى
وغضون من الشباب نضار كل غصن على الردى يتثنى
جثث بعضها يوج بعض سافتات وجه الأباطح سفنا

- ١١ -

أما شاعر دمشق الأستاذ أنور العطار فله في فلسطين ومساتها
شعر يلتهب عاطفة وأشواقاً، فهو ينادي الربوع المقدسة نحو محب
هائم له في جنباتها ذكريات عامرة بالحنين، وهو يبكي مصرع البلد
الشهيد بكاء الحزين الواله^(١) :

فلسطين يادينا المنهأة والحب ويامبطر الإلام والحل العذب
عليك سلامُ العرب يندى مواجهاً ويشرب دمع العين غرباً إلى غرب
تطوف بك الذكرى ويهفو بك الهوى

كأنني منك الجسم خلواً من القلب
بنفسي وأهلي وهدأها وهضابها فما هجي ذوي على الوهد والهضب
حزناً إليها وهي ملء ضلوعنا كان رؤاها عن تباري هنا تني
ديار الهوى لازلت مخضرة المنى ترف على مغانكِ فیناتهُ العشب

(١) — قصيدة (فلسطين) له — مجلة (المسلمون) : المجلد العدد ٦٥-٦٧ ص ٧٧
وقد تفضل الشاعر فأغارني الخطوط المخطوطة الأخيرة المنقحة للقصيدة.

أراكَ بعينِ الحب طيفاً مجسداً يقاسمي كرني ويغفرُ لي ذنبي
فهل لفنا الماضي خيالاً على المدى وألفنا كالهدب يعلق بالهدب
أيا رونة الأحباب لولاك ماروت جفوني ولا روتك بالماطل الصب
خيالك في عيني وذكرك في في وبي منك ما يغري المحب وما يصي
وما ذكرتك النفس إلا تولدت وهيئها برح فبات بلا أب

فيالك ذكرى ملؤها الوجد والأسى مضرجة الأعطاف بالنوح والندب
دهتك من الدنيا كوارث جمةٌ وألقت بك الويلات في مزلق صعب
وما غير الأيام مهمها تفاقت بأعظم مادقت من فادح الخطب
أيندو مطافُ المجد نهباً مقسماً ولا تغضب العرباء للنهب والسلب
وكان إذا نابت دياراً أذيةً تفجرت الأرواح بالسمرو القصب
خانيك ربي ماليعربي لم تُتفق وما خلقت إلا من الشب والهب
فا بالها إن هاجها البغي لم تهيج وإن قرعت بالسب أغضت على السب
أحقاً توانـت عن منازلة العـدا
أصدقـاً، ولـيت الصدق ضربـ الكذـب

وهل غصب العادي ديار أحـبي
وقرت نفوس العـرب طوعـاً على الفـصب

أطل وقفـة في الدـار والـثم تراـيهـا فـن حقـها أن تلـصـقـ الخـدـ بالـتـربـ

وناج دماء أهرقت في رحابها وسلسل لها وجدى وصور لها حبي
وقل يادياراً مضتها لاعج الأسى وأسلعمها الباقي إلى الهم والكرب
أيا طول كربإإن خلصت إلى العدا ولم ترجع يادارة العرب للعرب
فقد ينجلى الليل الطويل عن السنا وتزدهر الأعواض في المهمة الجدب
ويرجع وجه السلم جذلان ناضراً

بحربِ تلفَ الأرض بالطعن والضرب
إذا لم يكن في السلم خيرٌ ونعمَةٌ فما الخير إلا في ممارسة الحرب
وقد كان لحصر الجيش المصري في الفالوجة ، وموقف الجيوش
العربيَّة الأخرى المخزي منه صدَّىً أسفٍ ولوحةٌ في العالم العربي ، وهذا
صوت الأستاذ العطار يوم العرب على هذا التخاذل عام ١٩٤٩^(١) :

ياثاراتٍ يعربُ أينَ منا من يلي النداء يوم اللقاءِ
أينَ يخوضُ القتالُ جيشٌ وحيدٌ وجيوشُ العرباءِ كالرقباءِ
ليس كالخلف في اشتجار العوالى
واصطدام الأرzae بالأرzae
ليس نخيلاً في جفوة وخصامٍ
لا يصون الوفاء غير الوفاءِ
لا يعيش الحمى على عنت الكر
بالدم اليعري تُرعى فلسطين
ن وتروى الرمال في سيناء
فلنحضر غيرَ الجهادِ لتنقى
مانا غيرَ خوضه من نقاءِ

(١) - من قصيدة للشاعر في تكريم إيليا أبي ماضي سنة ١٩٤٩ .

لقد استأثرت خيام اللاجئين بأكبر نصيب من شعر النكبة ،
وغدت الخيمة السوداء رمزاً كريهاً للنكبة ، وهذه صورة رهيبة
لـ «خيمة البهتان» كما يسميهما الشاعر المصري المبدع الكبير الأستاذ محمود حسن
اسمعائيل ، التقطها عام ١٩٥٢ «لللاجي» من عرب فلسطين الأحرار ،
يستصرخ أخاه العربي من وراء خيمته ، وقد هبت عليها أعاصر الشتاء ،
فراح بين السيل والويل يستثير جذوة النضال العربي في صدور
الأحرار ، ضد غدر السياسية ولؤم الاستعمار^(١) :

أخي .. قد منّت ريح الدجى بيتي وأيا مي
وساقتنى على الأرض بهذا الهيكل الدامي
وهذا الشبح المطرود في هذا الأسى الطامي
ينادي : أين ملك الله تخبط فيه أقدامي
وأين الأرض تحملني وتدفن بعض آلامي
وبعض خطاي في هذا الدجى المتضجر الهمامي ..

هنا في كبوة الأقدار بين السيل والويل

(١) - ديوان «نار وأصفاد» ص ٨١ - ٨٢ .

وَبَيْنِ عَوَاءَ شَيْطَانٍ طَرِيدٍ الْجَنُّ مُخْتَلٌ
 يَقْعُدُ لِلرَّعُودِ السُّودِ مَأْخُوذًا مِنَ الْهُولِ
 سَمِعْتُ فَحِيجَ ثَعَبَانَ عَلَى رَئَتِيْ مُنْسَلٌ
 تَدْفَقَ جَسْمُهُ الْمُقْرُورُ بَيْنَ حَفَائِرِ السُّلُّ
 وَبَيْنَ شَتَاءَ بَسْتَانٍ بَدْفُهُ الْمَوْتُ مُخْضَلٌ

هُنَا فِي خِيمَةِ الْبَهَتَانِ وَالظَّفِيفَانِ وَالْزَّورِ
 لَدِيْ مَأْوَى كَلْحَدِ الْمَيْتِ فِي النَّسِيَانِ مُخْفُورٌ
 رُمِيتُ كَدُعْوَةً وَقَفَتْ عَلَى درَبِ الْمَقَادِيرِ
 يَصْبِبُ التَّيْهُ فِي خَلْدِي خَطَا الظَّالِمَاتِ فِي النُّورِ
 فَأَشْرَبُ حِيرَتِي وَبُكَائِي مِنْ كَفِ الْأَعْاصِيرِ
 وَأَذْرَفُ أَدْمَعِي الْخَرْسَاءِ فِي صَمْتِ الْدِيَاجِيرِ !

أَخِي .. قَدْ غَالَ ذَئْبُ الْجَوْعِ أَطْفَالِي مَعَ الْفَجْرِ
 وَبَعْثَرْهُمْ جَنُونَ السَّيْلِ بَيْنَ مَدَارِخِ الصَّخْرِ
 فَلَا أَدْرِي لَهُمْ شَجَنًا عَلَى نَعْشِ وَلَاقْبَرِ
 كَمَا كَانُوا هُنَا .. عَادُوا بِلَا سَكْنٍ وَلَا عُمْرٍ
 ظَلَلتُ أَنْوَحُ يَارِبَاهُ ! بَعْضُ نَدَاكَ لِلْجَمْرِ ..
 فَجَاءَ الْمَوْتُ يَغْفِرُ فَاهُ لِلظَّالِمَاتِ وَالْقُفَرِ !

سلوكهم .. وسائلوا ما شئتمُ الاسلام والعربا
 وكيف على تراب الذل لم يتمزقا غضبا
 وكيف غدت فلسطين بهم تجتمع الذُّلُّ با
 تنوح على سلاسلها وتشكوا القيد واللاها
 وهم لماذا يطهيان ساقوا الله ووالهبا
 وقالوا : الشرق اقلتُ : صحاعي أفواهكم كذبا..

— ١٣ —

كان شاعر الدور الأول من النكبة إبراهيم طوقان ينفتح روح
 المقاومة والجهاد في نفوس مواطنيه في فلسطين ، وقد أحسن في سنة
 ١٩٢٨ بما تسرّب إلى الروح الوطنية العربية من وهن وتشاؤم ، فأرسل
 هذه الصرخة المتفائلة ^(١) :

كف كف دموعك ليس ينفعك البكاء ولا العويل
 وانهض ولا تشک الزمان ، فما شكا إلا الكسول
 واسلك بهمتك السبيل ، ولا تقل كيف السبيل
 ماضل ذو أمل سعى يوماً وحكمته الدليل

(١) — ديوان ابراهيم : ص ٤٦ - ٥٠

كلاً ، ولا خاب امرؤ يوماً ، ومقصده نيلٌ

أفنيت يامسكنين عمرك بالتأوه والحزن
وقدت مكتوف اليدين تقول : حار بني الزمن
مال قم بالعبء أنت ، فمن يقوم به إذن ؟

• • •

كم قلت : «أمراض البلاد» وأنت من أمراضها
والشوم علّتها فهل فتشت عن أمراضها
يامن حملت الفأس تهدِّها على أنقاضها
أقعد فما أنت الذي يسعى إلى إنهاضها
وانظر بعينيك الذئاب تعبُّ من أحواضها

وطن يباعُ ويشترى وتصبح «فليحي الوطن» !
لو كنت تبغى خيره لبذلت من دمك الشمن
ولاقمت تضمد جرحه لو كنت من أهل الفطن

• • •

أضحي التشاوم في حديثك بالغرية والسلبيه
مثل الغراب نعى الديار وأسمع الدنيا نعيقه

تلك الحقيقةُ والمريضُ القلبٌ تحرّحه الحقيقةُ
أمل يلوح بريقه ، فاستهدِ يا هذا بريقه
ماضي عيشك لو سعيت له ، ولو لم تشکُ ضيقه

لَكُنْ تَوَهَّمَتِ السَّقَامُ ، فَأَسْقَمَ الْوَهْمُ الْبَدْنَ
وَظَنَنْتَ أَنَّكَ قَدْ وَهَنْتَ فَدَبَّ فِي الْعَظَمِ الْوَهْنَ
وَالْمَرْءُ يُرْهِبُهُ الرَّدَى مَادَمَ يَنْظُرُ لِلْكَفْنِ

حِي الشَّابُ وَقُلْ سَلَامًا إِنْكُمْ أَمْلُ الْغَدِ
صَحْتَ عَزَائِمُكُمْ عَلَى دَفْعِ الْأَثْيَمِ الْمُعْتَدِي
وَاللَّهُ مَدَّ لَكُمْ يَدًا تَعْلُو عَلَى أَقْوَى يَدِ
وَطَنِي أَزْفَ لَكَ الشَّابَ كَأَنَّهُ الزَّهْرُ النَّدِي
لَا بُدَّ مِنْ ثَرَ لَهُ يَوْمًا وَإِنْ لَمْ يَعْقِدْ

رِيحَانُهُ الْعِلْمُ الصَّحِيحُ ، وَرُوحُهُ الْخَلْقُ الْحَسَنُ
وَطَنِي ، وَإِنَّ الْقَلْبَ يَا وَطَنِي بِحُبِّكَ مَرْتَهَنْ
لَا يَطْمَشْنَ ، فَإِنْ ظَفَرْتَ بِمَا يُرِيدُ لَكَ اطْمَانْ
وَلَكُنْ دُونْ تَفَاؤلِ ابْرَاهِيمَ طَوْقَانَ تَلْكَ الْعَصَابَةُ مِنَ الْزَّعَمَاءِ

الذين ابتليت فلسطين بهم ” :

قد سقى الأرض بانعوها بكاءً
ورباهما سهولاً لعنتهم
وطني مبلي بعصبة (دلّاً)
لين) لا يتقوون فيه الله
في ثياب تُرِيك عزّاً ولكن
حشوها الذلُّ والرياء سداها
حسبوا في الرجال هل كانت الأنعام إلا ملثيم أشباهها !

يارجال البلاد يقاده الأمة ماذا دهاكم ودهاها
صكت الألسن المسماع حتى لقيت من ضجيجكم ما كفاهما
عرف الناس والمنابر والأق لام أفضالكم فهاتوا سواها
كلكم بارع بلين - بحمد الله بحالنا ودوهاها
غير أن المريض يرقب منكم هذه الجرعة التي لايراهما
كان أولى بكم لو ان مع القول فعالاً محمودة عقاها

رحم الله مخلصاً بلاده ساوموه الدنيا بها فأباها
لو أتوه بالتبير وزن ثراها لأباه وقال : أғدی ثراها
أنفروا أيها النبیم فهذا يوم لا ينفع العيون كراهاها
لاست أمة دهتها خطوب أرھقتها ولا يشور فتاهما

(۱) - دیوان ابراهیم : ص ۵۵-۵۶

وهذه أخت ابراهيم ، الشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان ، تقول في قصيدة أسمتها « بعد الكارثة » :

ستنجلي الغمرة يا موطنى ويسح الفجر غواشى الظلم
والأمل الظامي مهمها ذوى لسوف يروى بليب ودم

١٢٧ - ١٢٨ : ص الأيام وحدى مع .

ل يقعد الأحرار عن ثأرهم وفي دم الأحرار تغلي النقم
وفي قصيدة فدوى طوقان التي تسميتها «نداء الأرض» صورة
شعرية رائعة لثورة الحنين في قلوب المشردين إلى الأرض السلبية^(١):

تمثل أرضاً نمته وغذّته من صدرها الثر شيخاً وطفلاء
وكم نبضت تحت كفيه قلباً سخيناً وفاضت عطاءً وبذلاً
تمثل - وهو يلوب - انتفاض ثراها إذا ما الرياح أهلاً
وماج بعينيه كنز السنابل يحضنه الحقل خيراً مطلأً
ولاح له شجر البرتقال وهو يرفّ عبراً وظلاً

وهاجت به فكرة كالعواصف لا تستقرْ

تواكب تلك الطيوف تسairy تلك الصور :
أتفصب أرضي ؟ أيسُلِّب حقي وأبقى أنا
حليف التشدّد أُصْبِح ذلة عاري هنا
أبقى هنا لأموت غريباً بأرضٍ غريبة
أبقى ؟ ومن قالها ؟ سأعود لأرضي الحبيبة
بلي سأعود ، هناك سيلُّطوى سكتاب حياتي
سيحنو عليَّ ثراها الكريم ويؤوي رفافي

سأرجع لا بدّ من عودتي سأرجع منها بدت مختني

(١) - وجدتها : ص ٨ - ١٩ .

وقصة عاري بغير نهايةٍ سألهي بنفسي هذى الرواية
فلا بدَّ ، لا بدَّ من عودتي

وظلَّ المشردُ عن أرضهِ يُتممْ : لا بدَّ من عودتي
وقد أطرقَ الرأسَ في خيمتهِ وأقفلَ روحًا على ظلمتهِ
وأغلقَ صدرًا على نقمتهِ

وما زالتَ الفكرةُ ثابتةً تدوَّمَ محوَّمةً صامتةً
وتغلي وتضرم في رأسهِ وتلفح كالنار في حسنهِ
سأرجع لا بدَّ من عودتي

وفي ليلةٍ من ليالي الرياح الدفيئةِ
مشى ذاهلَ الخطو تحت النجومِ المضيئةِ
وراح يدور بأفقِ خواطرهِ الشارداتِ
يلاحظهنَّ ويعنُّ بعدهَا مع الذكرياتِ
ويُبصر يافاً جالاً يضيءُ على الشاطئِ
ويسمع غمامةً الموج في بحرها الدافئِ
ويلاح بالوهم طيفَ القواربِ والأشعراءِ
تقبل وجهَ الصفاءِ في الزرقةِ المترفةِ
ومرتَ على وجههِ - وهو يحلمُ - نسمةٌ

مضنهجة بشذى البرتقال تعطر حلمه
وكان كهمس تحجب مصدره واستر
كهمس من الغيب وفاه يحمل صوت القدر

وأوغل تحت ضياء النجوم يishi ويسي كمن يحلم
وكان بعينيه يرسب شيء ثقيل كآلامه ، مظلم
لقد كان يرسب سبع سنين انتظار طواها بصير ذليل
تخدره عصبة المجرمين وترقه تحت حلم ثقيل

لقد كان يرسب سبع سنين طوال المدى عاشهما في سؤال
متى سأعود؟ وكان الجواب صنامايد رهيب الظلال
وما زال يishi سليب الارادة تدفعه قوة لا ترد
إلى أين؟ لم يدر ، كان الحنين نداء أح به واستبد
كأن من الأرض ، من أرضه تصاعد يدعوه صوت شرود
يجلجل في قلب أعمقه ويجدبه ما وراء (الحدود)
هناك تناهت خطاه ، هناك تسمّر عند السياج العتيق
هناك تيقظوعيا رهيفا وحسا عجيب التلاقي دقيق
وفي نفسه كان يزدحم الدمع والشوق والسوارة المفعمة
ورجع نداء ملح قوي وموجة عاطفة مبهمة
ورائحة الأرض في قلبه منريح حنان وفتح شذى

وَلَلصَّمْتُ مِنْ حَوْلِهِ أَلْفَ مَعْنَىً يَعْانِقُ أَلْفَ شَعُورٍ خَفِيًّا

وَأَهْوَى عَلَى أَرْضِهِ فِي اِنْفَعَالٍ يَشَمُ ثِرَاهَا
يَعْانِقُ أَشْجَارَهَا وَيَضْمُنُ لَآلَيِّ حَصَاهَا
وَمَرَغَ كَالطَّفْلِ فِي صَدْرِهَا الرَّحْبُ خَدَا وَفِيمُ
وَأَلْقَى عَلَى حَضْنِهَا كُلَّ ثَقلٍ سَنِينَ الْأَلْمِ
وَهَزَّهُ أَنْفَاسُهَا وَهِيَ تَرْعَشُ رِعْشَةَ حَبٍّ
وَأَصْغَى إِلَى قَلْبِهَا وَهُوَ يَهْمَسُ هَمْسَةَ عَتَبٍ !
— رَجَعَتْ إِلَيَّ ؟

— رَجَعَتْ إِلَيْكُ وَهَذِي يَدِي
سَأْبَقَى هَنَا ، سَأْمُوتُ هَنَا ، هَيْئَى مَرْقَدِي
وَكَانَتْ عَيْنُ الْعُدُوِّ اللَّثِيمُ عَلَى خَطُوتَيْنِ
رَمَتْهُ بِنَظَرَةٍ حَقْدٍ وَنَقْمَهُ
كَمَا يَرْشُقُ الْمَوْحِشُ سَهْمَهُ
وَمَرْقَ جَوْفُ السَّكُونِ الْمَهِيبِ صَدِي طَلْقَتِينِ

• • • • • • • •

بَدَا الْفَجْرُ مَرْتَعِشاً بِالنَّدَى يُذَرِّذِرُهُ فِي الرَّبَا وَالسَّفُوحِ
وَمَرْبَطِي الْخَطَافُوقَ أَرْضِي مَضْمَنَّهُ بِنْجِيعِ نَفَوحِ
تَلْفُ ذَرَاعَيْنِ مَشْتَاقَتِينِ عَلَى جَسَدِ هَامِدِي مَسْتَرِيحِ

أما شاعر النكبة أبو سالمي ففي كل قصيدة من قصائده فيها حملة على الملوك والرؤساء العرب الذين خانوا أمانة فلسطين وأعانو على تشريد شعبها . يقول في إحدى قصائده لواحد من أولئك الملوك⁽¹⁾ :

قال الملوك : غداً نحمي دياركم لـيت الأذلاء ما قالوا وما فعلوا
وعـلـونـا بـسـاحـ المـجـدـ تـنـزـلـهاـ إـذـاـ بـهـمـ سـاعـةـ الجـلـ هـ العـلـ
قالـواـ : الـكـرـامـةـ إـقـلـناـ أـينـ صـاحـبـهاـ؟ـ قـالـواـ : الرـجـولـةـ ،ـ قـلـناـ أـيـهـمـ رـجـلـ؟ـ
بـاعـواـ فـلـسـطـينـ فـلـتـهـنـأـ ضـمـائـرـهـمـ أـمـاـ تـرـاهـاـ عـلـىـ (ـالـدـوـلـارـ)ـ تـشـتـعـلـ

(١) - أغنیات بلادی : ٨٥ - ٨٦ .

ويقول أبو سلمى في قصيدة أخرى^(١) :

قالوا : الملوك ! وكيف أجهلهم هم شردوا أهلي وهم نكبووا
شادوا القصور على جماجمهم وعلى الدسائس حولنا دأبوا
نهوى به الأصنام والنصب هل تعبد الأصنام في زمن
يُتَسْتَرُ المستعمرون بهم لا يختفي استعمارهم ولهم
الشعب يعرف باسم من حكموا ومن الذين وراءهم ركبوا
ومن الذي بالعار يتنقب

قل للذين جنوا على وطني ما يتنا الأيام والمحب
من قبلكم من الطغاة بنا هل تعثرون بهم ؟ لقد ذهبوا
عصفت بهم نار مقدسة وإذا بهم لجهنم حطب

ويثور أبو سلمى على من يتهم الفلسطينيين بالتقدير في الحرب
وحماية الوطن ، ويرد عليه معدداً تضحيات الشعب الفلسطيني العربي
وجهاده^(٢) :

قسمأ بالسَّفوح إنا حلنا يافسسطين في هواك العذايا
وإذا ما سألت عننا انتسبنا وأيننا إلا إليك اتسابا

(١) - أغانيات بلادي : ص ١٠٥ - ١٠٦

(٢) - أغانيات بلادي : ص ١٢٥ - ١٢٨

ما بعْدَنَا عن طِبِّ أَرْضِكَ إِلَّا
وَزَرَعْنَا الأَشْوَاقَ فِي كُلِّ أَرْضِ
وَافْتَرَقْنَا - وَأَنْتَ فِي الْقَلْبِ - أَعْوَانِ
وَالْتَّقِينَا عَلَى مَلَاعِبِكَ السَّمِيمِ
وَسَجَدْنَا نَقْبِلُ الْحَجَرَ الْأَسْ

هَذِهِ دَارُنَا فِي أَوْحَشَةِ الدَّا
لَاتَسْلُ أَينَ أَهْلُهَا ، فَالْحَيَّامُ السَّ
حَسِبُوا الْلَّاجِئِينَ فِي كُلِّ قَطْرٍ
تَاجَرُوا بِاسْمِنَا وَبِاسْمِ فَلَسْطِينِ
ثُمَّ قَالُوا : خَانُ الْبَلَادِ بِنُوها
نَحْنُ مِنْ نَضَرِ الْعَرُوبَةِ فِي الدَّهْنِ
هَذِهِ دَارُنَا جَبَلُنَا ثَرَاهَا
إِنَّا وَحْدَنَا فَدِينَا حَمَاهَا
وَسَرِي حَبَهَا مَعَ الدَّمِ نَارًا

نَحْنُ مِنْ عَطَرِ الْمِيَادِينِ أَجْمَعُونِ
وَنَزَعْنَا لِلظُّلْمِ ظَفَرًا فَظَفَرًا
يَوْمَ كَذَنْا نُصَارَاعَ الْبَغْيِ وَالْعَدُوِّ
وَرَفَعْنَا يَيْضَ الْجَيَّاهِ صِبَاحًا

دَأْ وَأَعْيَى الْمُسْتَعْمِرِينِ طَلَابًا
وَحَطَمْنَا لِلْوَحْشِ نَابَا فَتَابَا
وَانَّ كَانُوا لِلْأَجْنِيَّ ذُنُوبِيَّ
وَرَأَيْنَا جَاهَمَمْ أَعْتَابَا

هتفوا للوغى ولما التقينا
حاربونا وحالفوا الاتدابا
ثم راحوا يدللوت علينا
يوم صرنا بفضلهم أسلابا
سجنوا اللاجئين لما رأوه
لايزالون يطلبون الحسابا
ظلموهم ، فكيف يغفون يوماً
وفلسطين تقرع الأبوابا
ويقول أيضاً في تمجيد نضال الشعب العربي الفلسطيني^(١) :

هذه الحرية الحمراء ما
عرفت إلا فلسطين مراحا
وتقلّبنا على نير أنها
وصهرناها قلوباً وصفحا
رقص النور على ملعبها
والهوى غنى لها والسفح باحها
بكّت الأحرار في أوطنها
شردوا أهلي وصحي فعلى
كيف لا بكّي حمانا المستباحا
شريم الظلم على داراتهم
كل درب شبح النكبة لاحا
عصف الليل بأنوارهم
فكأن الظلم لا يغيب براحتها
الخiam السود تبكيهم فهل
رسائلناليوم عن أهلي الرياحا
دُمهم سال على كل ثرى
أتّرى يصبح ريحاناً وراحتها
خصبوا آمالهم وانطلقوا
يلهبون الكون ثاراً أو طماها
ناحت الأرض على أربابها
أين من يسمع من أرضي التواحة
وعندما تمت الوحدة بين مصر وسوريا ذكر أبو سلمى جراح

(١) - أغاني بلادي : ص ١١٣ - ١١٥

فلسطين وقد مرَّ على التقسيم عشر سنين^(١) :

يارفافي جبل النار دعانا الهوى هذا الذي هب هوانا
حملت من أرض «حطين» شذانا
من صباها وشُعاع من دمانا
هفت من خلل الدمع رُبانا
من فلسطين ولم يعرف سرانا
حرة إلا على دامي خطانا

والنسىات التي مرت بنا
وعلى كل طريق عبق
وإذا ما لفظت أهلي الربا
أي سفح لم يسر فيه لظى
أي شب خفقت أعلامه

باسم أطفال بلادي زحفوا
بالضحايا كتبوا تارينا
باسم أهلي في بقايا وطني
باسمهن في كل أرض مثلوا
واسمهن يهدرون في شعرى دماً
باسمهن نقسم إلا نلتقي

في الدروب الحمر ذلاً وهوانا
بالخيام السود تبكىهم زمانا
باسمهن في طرق البؤس حزاني
شاهدأ قد صبه الظلم عيانا
ودموعاً وسعيراً ودخانا
في غد إلا على طهر ثرانا

يا فلسطين مضت عشر وفي
وأتينا واللظى يحرقنا
كل يوم يسمع الدهر ندانا
عرباً قبلأ ووجهاً ولسانا

يا أحبابي مضت عشر ولم تلثم الترب المقدى شفتانا

(١) - أغنيات بلادي : ص ٦٧ - ٧١

وشهظايانا اللواتي وحدت
بین أهلينا ولم يبق سوانا
لن تم الوحدة الكبرى إذا
لم يلح في الوحدة الكبرى حمانا

— ١٦ —

ولشاعر النكبة يوسف الخطيب صرخات متمردة ، يثور فيها على
استكانة الشعوب في الشرق و خضوعها الذليل للقوة^(١) :

الرفاع المسكين في الشرق ينقا
يستوي عنده المدرج والما
يارياح الجحيم هي علينا
تشتكي الأرض من روانح قتلا
كل شبر والذل يصرخ فيه
كالقطيع الذي يُساق إلى المذ
كالقطيع الذي يُساق مع الغر
أين « بتروننا » أُنحرق فيه
أتنى لو كنت عود ثقاب
أتنى للشرق يغدو رماداً
من هبي و تحرق الصحراء !

دأمام القوي كيف يشاء
دم ، ما نبنيه والبناء
والفحينا ، فإننا جبناء
نا عليها ، ويشمئز الهواء
وسياط الغري والأسلام
بح رغم وكله استخذاء
ب وطوراً يسوقه الزعماء
ليعيش الأسياد والأمراء
في حقول البترول يوماً يضاء
من هبي و تحرق الصحراء !

(١) - العيون الظباء للنور : ص ٤٢ - ٤٤

ويوف الخطيب هو الذي يحكى لنا حكاية هذا اللاجيء^(١):
 يقولون : كان فتى لاجئاً إلى خيمة في الربا مشرعاً
 تطل بعيداً وراء الحدود على الجنة الخصبة الممرعه
 وكانت له ذكريات هناك
 ولهم صبا شاعري الدروب
 وكم أرقت ناظريه الطيف
 يعيش على حلم أمس الذي
 يقولون : كان يرجي الممات
 وكان نداءً ، وكان نفيراً
 تتحمّل هول الردى راسخاً
 فلو ضيغتم من قربه
 ويروون : لأنّ هاجه
 سوى أن عينيه قد غامتا
 أيكي على وطنِ ضائع
 أيكي حبيباً له في الخيام
 يقولون : لما هوى مشخناً
 وأوشك ينبو السراج ، سوى
 تلفت ملء الربا والوهاد

مجذحة حلوة متعه
 وكوخ يطل على مزرعه
 وطيف الرقاد جفا مخدعه
 تولى ويُقسم أن يرجعه
 إلى يوم ثار ، إلى موقعه
 وأسلم الله ما أودعه
 كا يرتقي النسر في الزوبعه
 تبني لو ان له مصرعه
 ولا الجرح في قلبه أوجعه
 وأسبلنا في الثرى أدمعه
 قضى قبل أن يجتلي أربعه
 قبيل الرحيل ، وما ودعه !
 وشدّ على جرحه أضلعه
 ثوانٍ ضافية مسرعه
 يحدق في وطن ضيغه

(١) - عائدون : ص ٧٨ - ٨١

وأغرز كفيه في حفني . تراب ، تكونان ذكرى معه !

— ١٧ —

ولشاعر العودة هارون هاشم رشيد شعر كثير يوج بالمحاسة
والعزيمة والإيمان بالنصر والعودة^(١) :

أخي في الخيمة السوداء في الكهف
أخي في الجوع في التبريد في الخوف
أخي في الحزن في الآلام في الضعف
أخوك أنا برغم الظلم والإرهاق والعسف

أخي من نحن إن سرنا على الدنيا بلا وطن
 وإن عشنا على صدقات قاتلنا ، على المنن
 وإن جار على الأقداس عسف الظالم التن
 وإن لم تنقض للثأر رغم المؤس والمحن

أخي لن يغمض الجفن على حق ولا ثأر
ولا لن ترجع الأرض بغير الدم والنار

(١) — عودة الغرباء : ص ٨٠ - ٨١

هناك بوابة تعصف من دارك أو داري
هناك غداً ستشعلها ونحو لطحة العار
ولم يفقد شاعر العودة إيمانه بالثأر والنصر ، على الرغم من الاحتلال
اليهود لمدينته المرابطة في خط النار (غزة) أثناء العدوان الثلاثي ،
وفي قصيده (إرفع يديك) يرسم الشاعر صورة رهيبة للعسف الصهيوني
إبان الاحتلال ، فقد كان اليهود يوقفون الرجال والنساء في غزة رافعي
الأيدي إلى الجدران ويطلقون عليهم النار ^(١) :

ارفع يديك ! وصوّبوا ظلماً بنا دقهم إلى
ارفع يديك ! وكاد يأقدار — أن يغمى على
ارفع يديك ! وددت لو قطعوا يدي

ووقفت في عيني نار واشتعال
وشريط أحداث تقر وذكريات في اتصال
بلدي يدنسه اليهود! أهذه عقبى النضال
عقبى المراطة الطويلة في الخنادق والتلال
بعد الخمام البالىات وبعد أعوام طوال!

واسودَت الدُّنيا وما زالت يداي إلى الجدار

(١) - غزوة في خط النار : ص ٤٦ - ٤٨

والمجرمون يصوبون لنا بنادق الاحتقار
وأنا وصحي في انتظار
طلقات نار ... تمضي بنا .. طلقات نار

وهشوا ومازال الجدار ..
باق يحدق في انتظار ..
بركان نار .. وهليب ثار ..

وعندما أعلنت الوحدة بين سوريا ومصر كانت فرحة شاعر العودة
طاغية وهو يرى جاهير اللاجئين تزحف من الخيام والكهوف تاركة
بؤسها وألامها ، لغفي نشيد الوحدة وتبار كها^(١) :
يإلخوي المشردين في الظلام التائبين الضاربين في القتام
الهائمين في الدروب السابحين في الندوب
ألا بشرعوا ألا بشرعوا بالعودة وهلوا وكمروا للوحدة
يإلخوي
يإلخوي غدا ستنهار الحدود وسوف لا يكون في بلادنا يهود
وسوف يشرق الضياء على مرابع الفداء
فأبشروا واستبشروا بالعودة وهلوا وكمروا للوحدة
يإلخوي

(١) - أرض التورات : ص ١٠٢ - ١٠٥

يالإخوتي في فرحة العمر التي تزورنا قد أورقت وأينعت واستبشرت صدورنا
 بعد السنين العابسات بعد الليالي الحالات
 فأبشروا واستبشروا بالعودة وهلوا وكمبروا للوحدة
 يالإخوتي

١٨ -

ومن الشعراء الذي وقفوا شعرهم على العودة الشاعر علي هاشم
 رشيد شقيق الشاعر هارون هاشم رشيد ، وفي ديوانه (أغاني العودة)
 نجد تلك الروح المتوجبة المشتعلة شوقاً إلى الوطن المغصوب ،وها
 هو ذا صوته يهز النيل ويدعوهم إلى المعركة^(١) :
 أخي والرياح تهز الخيام أخي والجباه كساها الرغام
 أخي والظلم تلاه الظلام ألا فاسعوا صرختي يانيام
 إلام المنام إلام المنام !

أخي هزنا الشوق للموطن ونحن نعيش بلا مسكن
 تحامل على جسمك المثخن تقدم تقدم ولا تشن
 وصح يانيام إلام المنام !

(١) - أغاني العودة : ص ٢٧ - ٣٠

أخي لا يرُوك عواء الذئابْ فهل يرهب الليث نبح الكلابْ
 أخي وليكن لك ظفر ونابْ وجالد به وقع تلك الحرابْ
 إذا ما سمعت إلام المنام !

أخي إن صلاته رمال الفلاءْ تذكر فلسطين مهد الأباءْ
 ووجه إليها قبل الصلاه صلاة تظهر تلك الجبارهْ
 وقل يا بلادي إليك السلام

فلسطين إنك روح ودم فلسطين إنك نبع الشهمْ
 عرفنا بأرضك طعم الكرم فلن نخفر اليوم تلك الذممْ
 فإن الكريم يعاف الملام

- ١٩ -

أما عيسى الناعوري فهو من شعراء النكبة الذين بكونوا مأساة
 بلادهم بفورة ملتاعة من دم قلوبهم ، وصبوا في قصائدتهم هليب النقمه
 والثورة في أعقاب الكارثه ، وهذه « صرخة أسى » مسيرة يرسلها
 الناعوري بعد المهدنه عام ١٩٤٩^(١) :

سقطت يضرجها النجيع على الثرى ومضت كحلم كان في الأحلام

(١) - أناشيد . ص ٦٥ - ٦٨

وتمزقت يد الخيانة والخنا أعلامها الغراء وهي دوامي
 وتفرق عنها الصحاب وأغمدت فيها السيف وهن بعد ظواحي
 أعراسها انقلب ماتم مرّة دميت بهن حاجر الأيام
 وقباها . . الله ما لقباها عاد الشموخ بها ذليل الهمام
 صوت الأذان أبح والأجراس ما عادت ترن كعدهما من عام
 ضاعت فلسطين الشهيدة وانطوت واحسرتاه لعدها البسام
 قد سلمتها لليهود عصابة رعدية برئت من الاسلام
 عاث الغريب بها وشرد أهلها فتفرقوا في الأرض كالأغنام
 يا للمذلة ! لم يعد في أمتي رجل لأعراض العروبة حام
 وفي عام ١٩٥٣ كانت نفحة الشاعر لا تزال مستمرة ، فإذا سمع من
 حوله يتحدثون عن وعي الشعب العربي وتأهله للثأر والعودة ، أرسل
 صوته الساخر من أحلامهم^(١) :

حلم ! وما أكثر أحلامنا سئمت من تكرار أمثاله
 حلم لقاء المجد من بعدهما وقع شعبي صك إذلاله
 في ساحة كان لنا نصرها فحوالوه للعبدا صاغرين
 وغادروا الساحة لا عودة ترجى ، ولا ثأر ، ولا هم يحزنون

دعني من الأحلام يا صاحبي وأمل الثارات والنصر

(١) - أناشيدى : ص ٥٧ - ٥٩

فليس في قومي ذو عزةٍ
قادتنا ثاراً لهم يبنهم
إذ دعا الجد لساحتةٍ
كلهم يوم الوعي العارُ

هم كلهم ذئابٌ مستعمرٌ
من أجلها ضحوا بأوطاناً
سادةٌ ذلٌ طالما صفت
باعوا إلى الشيطان أرواحهم

نحن ! ومن نحن ! سوامٌ فـا
شغوا لراعينا وجز آرنا
الوعي، وعي الشعب كذبٌ فـا
نمجد الطاغي ونعنو إذا

ستة أعوامٍ تقضـت على
لا اللــ والرملة قد عادـتـا
ولا ضواحي القدس عادـتـ لنا
وشطـ ياـ لمـ يـ عـ عـهـ

خيـاماـ تـمـلـأـ رـحـبـ الفـضـاءـ
أـذـلـةـ نـحنـ ،ـ وأـوـطـانـاـ خـصـمـنـاـ الجـافـيـ

دعني من الأحلام يا صاحي وأمل العودة للدار
ما دام يرعى أمرنا قادةً تعشق قيد الذلة والعار

-٢٠-

وحسن البحيري من الشعراء الذين عاصروا النكبة في دورها ،
وقالوا في كل حدث من أحداثها،وها هو ذا قبل التقسيم يعاهد تربة
فلسطين أن يسقيها من دماءه^(١) :

أيا وطني ، والعلا من أسى إذا ذكروك لها تطرق
ترابك.. هذا التراب الطور وفي روحه عطش مزهق
ساسقه من نفاثات اللليب وفيض الدماء حياً يغدق
لأنبت حربي في ثراك وأجعل أدواحها تورق
فترزهر فيك غصون السلام ويسنم في ظلها الزنبق
فلما تم التقسيم ودوى الرصاص في الأرض المقدسة انطلق صوت
الشاعر يبيب بكل عربي أن يخوض المعركة :

أخي اسع نداء هليف الصدى ترامى على خطرات المدى
فكاد يهز روایي الجبال وقد مسها مغوراً منجدا

(١) - المختارات من شعر البحيري نقلتها من مخطوطاته التي تفضل مشكوراً
بإعارة إباهـ .

دعاني وإياك مستنجدا
فأكرم بساح الوغى موردا
ضمنا له يومنا والغدا
مؤثلة في العلا محتدا
وطئنا بأقدامنا الفرقدا
هو الغوث من أسبق القبليتين
فقم بالسلاح نسر للكفاح
لنا النصر لا لفلول العدا
فتحن بني العرب من أمةٍ
ونحن على ذروة الخافقين

لرحنا لها ركعاً سجداً
لنستلم الحجر الأسعدا
بدور التقى وشموس المدى
فروع الجدا وأصول الندى
وبنت الجlad وأخت الفدا
وما مد يوماً لنصر يدا
مضى في كراها مدى سرمدا
تلّم من الشمل ما بددنا
أخي قبلة القدس لو أنصف
وطفنا بصخرتها كالحطيم
فآفاقها أطلعت في الزمام
وترتها أنبت للأنام
فلسطين في الدهر أم الجهاد
ولولا بنوها لنام الكفاح
فهم أيقظوا الشرق من غفوة
وهم جعوا العرب في وحدة

إذا هو من غمده جردا
ولن نرتضي غيرها موعدا
فلم يبق فينا لصبر شدا
وحوت العباب وريح الودى
وفي دارعات تخيف الردى
أخي قم بنا مثل حد الحسام
قتل أبيب لنا موعد
 فهو كليث الشرى واشيا
الا امض بنامثل نسر السحاب
على طائرات تروع النجوم

لنهمها حجرة حجرة وتر كما صفصفاً فدفداً ..
فاما انتهت المسرحية الحرية بما شاءت لها الخيانة أن تنتهي صرخ
الشاعر من أعماق فؤاده :

إلهي زلزل الحق وناء فؤاده المجهود
وكادت ناره تخبو ، وكادت ريحه تخمد
وكادت كف إسرائيل تتحو ما بني أحمد
فإن لم يصرع الباطل إزهاقاً ولم يامد
وظل البغي في دنياك ينضو سيفه المغمد
بعد اليوم لن ترجى ، وبعد اليوم لن تقصد
وبعد اليوم لن تخشى ، وبعد اليوم لن تُبعد
وبعد اليوم لن يركع إسلاماً ولن يسجد !

والشاعر البحيري هو اليوم «لاجئ» في دمشق ، يتبع إنشاد
الحانه الباكيه على وطنه السليب ، فإذا ثار في قلبه الحنين إلى دياره
صورة في مثل هذه المناجاة الخامسة بين حمامتين :

سألت ذات حنين أختها والدجى يعقد أجفان الوسن
وصدى النجوى على أفق الربا يزفر اللهفة في ليل الشجن :
أخت ماسر الشذى من زنبق حير الأدمع في جفن الزمن
فأجابتها بلحن شاردي رن فاهتز له عطف الفتن :
يا بنة الأيك ويأخت الشجى أرج الزنبق أنفاس الوطن !

- ٢١ -

وهذا محمود الحوت ، أحد شعراء النكبة ، يحن إلى يافا والمدن
المغصوبة الأخرى ، ويشكو أحزانه إلى الله ^(١) :

يافا ، لقد جف دمعي فاتتني حبّ دمًا
متى أراك وهل في العمر من أمد
محولة في طوايا النفس للأبد
كيف الشقيقات أو اشواق هامدنا
ما حالها اليوم يا يافا ، وهل نعمت
ياماً قطع من جنة الخلد
من بعد أن سُلّمت أمساً يداً يد
وكم من قدم تبقى في مرابعها
ما بال قلبي إذا ماسرت من بلد
يصبح من وحده في الصدر والبلدي
وحدثه هازنا بالعيشة الرغد
مهما استقام له من عيشة رغد
أشكوا إلى الله لا أشكوا إلى أحد !
تعبت لكنني مازلت في تعبي

- ٢٢ -

وفي عيني إحدى اللاجئات قرأ الشاعر الفلسطيني كمال ناصر أسطورة
الضياع ^(٢) :

عيناك خيمتان ترويات أسطورة الضياع في الزمان

(١) - المهزلة العربية : ص ٣٠

(٢) - جراح تغنى : ص ٦٨ - ٧٠

وتعمقان في دجي الحرمانِ وُتصلبان في ذرى المكانِ
على أديم المجر والنسيانِ !

عيناك خيمتان للعذابِ تطل منها رؤى المصابِ
جريدة التاريخ والأحبابِ وغفلة الأصحاب والأحبابِ
في موكب النزال والغلابِ

عيناك خيمتان للصراعِ مغمومستان في دم الحياةِ
لحن كثيب موحش الإيقاعِ تعزفه قيثارةُ الأوجاعِ
تروي لنا أسطورة الضياعِ

وأنت يا صاحبة العيونِ في غمرة الأشجان إن تكوني
لاجنةً .. ظلي على يقيني يا لعنةَ سوداء في جبيني
ودمعةَ للحقد في جفوني الحيمتان بعض ما يشقيني
في وجهك المؤرق الحزينِ إذ تصرخان للربا : ارجعوني
للشاطئ المعذب الطعينِ لحلمٍ شاخ على ظنوبي !!

- ٣٣ -

وللشاعرة الفلسطينية المجددة سلمى الخضراء الجيوسي قصيدة
أسمتها « الشهيد المحجور » رسمت فيها صورة رهيبة للقبر الكبير فوق
تل قرية (دير ياسين) الذي دفن فيه القتلى دفناً جماعياً ، بعد أن ذبح

- ١٥٢ -

اليهود أهل القرية سنة ١٩٤٧ في مجزرة وحشية لم ينج منها
إلا القليلون^(١) :

رعته الشمسُ والأنداء وارتاحت على كبرٍ بقاياهُ
ونامت دون يوم الحزن عيناهُ
وكان يوم بعناءُ
— لريح الغرب تلفح رأسه العاري
لوقد الشمس تحرقة
وُتغرقه
بموج هليها الناري
لغربان السماء السود تدفن جوعها فيهِ
لديدان الثرى القاسي تعرّيهِ—
فلول الجحفل الوهمي في صرح هدمناه

. . .

أن ترثاح في قبرٍ بقايا النائم العُريان؟
بقايا الهيكل المهجور في الوديان
في دوامة الأرياح؟
أن ترثاح في قبرٍ بقاياهُ
لقد صنَّاه في أكفان ماضينا

(١) — العودة من النبع الحالم : ص ٦٨ - ٧٤

لقد بعنه : لا أجرٌ ولا أرباحٌ
يوم تجارة الأرواح
عكااظُ الرُّوع عن دنياه يلهينا

• • •

سرى من « حفرة القتل على تلِّ ثكلناه »
نداءٌ حام في الأجواءِ
فوق مدافنِ الأحياءِ
ينادينا
ينادي الموت ، ذاك السارق المعطاءُ
أرنٌ ينزع عن مرقى أمانينا
فإنا قد بلوناهُ
رضعنا سكره النعسان
وذفانه الأصفر إذ يندي على الأجهانِ
وإذ يغتال نجم الشوق غيلاً من ليالينا
فياغول الليالي السود ، ياديحورها السكرانِ
رعاش الموت في واديه .. عرج دون وادينا !

• • •

تدوم لجة الأصداء تحت السمع والبصرِ
تهز العدم المرتاح في أرجوحة القدرِ

لتوهظ في حنابنا
 شموس الغيب والأنواء
 لتنسل روح موتنا
 من الغيبة الصفراء
 وتنقض شوقنا ناراً وطوفانا
 برغم الموت .. والأغلال .. والسل
 لنحفر دربنا القاسي إلى « كهف على الذل »
 نلم عظام موتنا !

- ٢٤ -

وللشاعرة السيدة عزيزة هارون هذه اللوحة التي تصور فيها أما
 (فلسطينية نازحة وولدها) ^(١) :

لا وحق الحب لن أخلف عهدا
 وحنيني رف ريحاناً ووردا
 أنا للثأر وللطفل المفدى
 فاري في حومة الحرب تردى
 إنه للغمرة الحمراء يهدى

(١) - مجلة الآداب : العدد ٥ ، السنة ٤ ، مايو ١٩٥٦

ولدي بين اليتامي وغداً يشتد زنداً
 قال يوماً لرفاق الصف : إني أتحدى !
 إن أمي صقلتني وأعدتني فرنداً
 أنا للثأر ولن أخلف عهداً
 ألف بركان بقلبي ليس بهدا
 إنما الظالم في الدار استبداً
 أنا لا أعرف يافا بلدي ، بالروح تُنْدَى
 إنها في قلب أمي عبّت طيباً وندأً
 وهيام في مداءه الطلق لا يعرف حداً
 وهي في مقلة أمي بحنان الحب تندى
 واجي يأْم بالروح يؤدّى
 عربي كأبي أقتحم الساحات فرداً ..

- ٢٥ -

عندما استغاثت فلسطين ودعا الداعي إلى الجهد كان الشاعر
 الأستاذ عمر بهاء الأميري في جملة من لبوا النداء وانضموا إلى جيش
 الإنقاذ ، ليردوا العدوان على الأرض المقدسة ^(١) :
 يافلسطين يتراث النبوة يالسان المجد الأئيل المفوقة

(١) — المختارات من شعر الأميري نقلتها من بعض دواوينه المخطوطه
 التي تكرّم بإطلاعي عليها .

إن هذا العدوان مبعث قوه
 أمة العرب في ركاب هبت
 تلقم العاقي الزنيم عتوه
 والأباء الكماة تهتز ثاراً
 كلما مدرج الرسول تأوه
 فافقني البغي في عيون ذويه
 سوف يحميك يعربي المروه
 وقد أتيح للشاعر السوري المجاهد أن يشهد بعينه طرفاً من أحوال
 النكبة بعد انسحاب الجيش العربي الغادر وتشرد الفلسطينيين أمام
 زحف اليهود :

الشيوخ الفانون عضوا بقابا
 ورجال الكفاح ثاروا غضاها
 والصغراباكون غصوا بجز الد
 في فلسطين يالقومي رزايا
 والحكومات وهي سبع عجاف
 من جراح الجماد هاجت ضراما
 عزلاً يطلبون موتاً زؤاما
 م والدمع ثم ماتوا يتامى
 هل عينا عن ذاك أم تعامي
 قد أعدت للذود عنها .. كلاما !

— ٢٦ —

« قصة راشيل شوارز نبرغ » قصيدة جميلة للشاعر نزار قباني ،
 كتبها للأجيال المقبلة وأعلن فيها الثورة على الجيل الذي أسهم في
 ضياع فلسطين ^(١) :
 أكتب الصغار .

(١) - قصائد من نزار قباني : ص ١٧٨ - ١٨٧

للعرب الصغار حيث يوجدون
لهم على اختلاف اللون والأعمار والعيون
أكتب للذين سوف يولدون
لهم أنا أكتب للصغار
لأعين يركض في أحذاها النهار
أكتب باختصار
قصة إرهابية مجندة
يدعونها « راشيل »
قضت سنين الحرب في زنزانة منفردة
كالجُرْذ .. في زنزانة منفردة ..
شيدتها الألمان في براغ
كان أبوها قذراً من أقدر اليهود ..
يَزور النقود ..
وهي تدير مثلاً للفحش في براغ
يقصده الجنود ..
وآلت الحرب إلى ختام
وأعلن السلام
ووقع الكبار
أربعة يلقبون أنفسهم كبار

شك وجود الأمم المتحدة
.. وأجرت من شرق أوربا مع الصباح
سفينة تلعنها الرياح
وجهتها الجنوب
تفصل بالجزدان والطاعون واليهود
كانوا خليطاً من ساقطة الشعوب
من غرب بولندا ،
من النمسا ،
من استنبول .. من براغ
من آخر الأرض .. من السعير
جاءوا إلى موطننا الصغير
موطننا المسلام الصغير
فقط خوا ترانيا
وأعدموا نساءنا
ويتمموا أطفالنا
ولا تزال الأمم المتحدة ..
ولم يزل ميثاقها الخطير
يبحث في حرية الشعوب
وحق تقرير المصير

والمثل المجرّد ..
 فليذكِر الصغار
 العربُ الصغار حيث يوجدون
 من ولدوا منهم ومن سيولدون
 قصة إلهامية بمنتهٍ
 يدعونها « راشيل »
 حات محلَّ أميَ الممتدَّة
 في أرض يمارتنا الخضراء في الخليل
 أمي أنا الذيحة المستشهدة
 وللذكِر الصغار
 حكاية الأرض التي ضيَّعها الكبار
 والأممُ المتحده ..
 . . .

أكتب للصغار
 قصة بئر السبع ، والطرون ، والجليل
 وأخيَ القتيل
 هناك ، في يهارة الليمون ، أخيَ القتيل
 هل يذكر الليمونُ في الرملة ، في اللد ، وفي الخليل
 أخي التي علقها اليهود في الأصليل

من شعرها الطويل
 أخي أنا نوار ..
 أخي أنا المتيكة الإزار
 على ربا الرملة والجليل
 أخي التي مازال جرحها الطليل
 ما زال بانتظار
 نهار ثار واحداً ، نهار ثار
 على يد الصغار
 جيل فدائٍ من الصغار
 يعرف عن نوار ..
 وشعرها الطويل ..
 وقبرها الصنائع في القفار ..
 أكثر مما يعرف الكبار !

...

أكتب للصغار
 أكتب عن يافا وعن مرفتها القديم
 عن بقعة غالية الحجار
 يضيء برتقاهما كخيمة النجوم
 تضم قبر والدي وإنحني الصغار

- ١٦١ -

هل تعرفون والدي وإخوتي الصغار ؟
إذ كان في يافا لنا حديقة ودار ..
يلهـا النعيم
وكان والدي الرحيم
من ارعاً شيئاً ، يحب الشمس والتراب
والله .. والزيتون والكرم ..
كان يحب زوجه
وليتـه
والشجر المثقل بالنجوم
.. وجاء أغربـ مع الغياب
من شرق أوربا .. ومن غياـ السجون
 جاءوا كفوجـ جائع من الذتاب
 فأتلفوا الشارـ
 وكسرـ الغصون
 وأشعلوا النيران في يادـ النجوم
 والخمسـ الأطفال في وجـوم
 والليلـ في وجـوم
 واحتـلتـ في والـي كرامـة التـراب
 فـصـاحـ فيـهمـ : اـذـهـبـواـ إـلـىـ الـجـمـيمـ

لن تسليوا أرضي يا سلالة الكلاب !
 .. ومات والدي الرحيم
 بطلة سددها كلب من الكلاب
 عليه ، مات والدي العظيم
 في الموطن العظيم
 و كفه مشدودة شدا إلى التراب
 فليذكر الصغار
 العرب الصغار حيث يوجدون
 من ولدوا منهم ومن سيولدون
 ما قيمة التراب
 لأن في انتظارهم
 معركة التراب ! .. .

-٢٧-

للشاعر المهنـدس على محمود طه قصيدة حماسية يهـيب فيها بكل فتى
 عـريـ أن يحمل السلاح ويـخوض المـعرـكة لإـنـقـاذ الـأـرـضـ المـقـدـسـةـ^(١) :
 أـخـيـ جـاـوزـ الـظـالـمـونـ المـدـىـ فـحـقـ الـجـهـادـ وـحـقـ الـفـدـىـ

(١) - الشعر وقضيته في الأدب العربي الحديث : ص ١٠٣ - ١٠٤

أترَّ كُم يغصُّونَ العِرْوَبَ
وليسوا بغير صلْيل السِّيُوفَ
فجرَّد حسامك من غمده
أخي أيها العربي الأبيَّ
أخي أقبل الشَّرق في أمة
أخي إنَّ في القدس أختاً لنا
صبرنا على غدرهم قادرٍ
طلعنا عليهم طلوع المنون
أخي قم إلى قبلة المشرقين
يسوع الشَّهيد على أرضها
أخي إن جرى في ثراها دمي
ففتحت على مهجةٍ حرَّةٍ
وقبل شهيداً على أرضها
فلسطين يفدي حماك الشباب
فلسطين تحميك من الصدور
فإما الحياة وإما الرُّدَى

-٢٨-

وللدكتور أحمد زكي أبي شادي قصيدة سماها (اللاجئون) تحدث

فيها عام ١٩٤٩ عن نكبة المشردين ودعا العرب إلى بذل التضحيات لهم^(١):
”خرس فن عن ويلهم يتكلّم؟“
جنت السياسة مثلما جنت الوعي
وتشردوا لا يماكون وجودهم
ضاعت معاقبهم، وضاعت قبلها
ليس المقام مقام لوم شامل
إن المقام مقام نبل ساين
إن المصيبة لامثل لوزتها
والناس.. ما للناس لم يتأثروا
إن الكوارث مفصحات حولهم
هذا أوان التضحيات فما لهم
مال مهما جل ليس ضريرة
وإذا تأخذت الشعوب وأنكرت
فمن الحالها، وذلك حالها

- ۲۹ -

وللشاعر المجري الكبير رشيد سليم الخوري « الشاعر القروي »

١٥٤ - من السماء: ص ١١

قصيدة طويلة يسخر فيها من وعد بلفور ويدعو العرب إلى الاستعداد
للمعركة ، نقتطف منها^(١) :

فاحسب حساب الحق بامتناع
هيج العباد خست يا مستعمر
من جيب غيرك محسناً يا بلفر
وأذيع أنك في البلاد معمر
خنانك بتسمى وأنت مكشر
اليوم تفتخر العلا أن تأروا
تأبى المروءة أن تنام ويسيروا
قبل الرحيل فعد إليهم يذكروا
فليسأله لعله لا ينكرا
الحق منك ومن وعدك أكبر
تعد الوعود وتقتضي إنجازها
لو كنت من أهل المكارم لم تكن
تجني على وطن المسيح مدّ مرأ
هنا عليك لطيبة عربية
يا عرب والثارات قد خلقت لكم
يدعوك شعبك ياصلاح الدين قم
نبي الصليبيون ما عالمتهم
ريكاردس أدرى بسيفك منهم
وعندما احتفلت جمعية الشبيبة العربية الفلسطينية في سان باولو عام
١٩٣٥ بذكرى بعض شهداء فلسطين أنشد الشاعر القروي^(٢) :

ما لهذا الشرق لا يربح في نكباتِ من علوج الغرب سود
أشهيداً علقوا أم جرساً رنْ فاهتز له قلب الوجود
وسرت أحانه مطربةَ حول عرش الله أرواحَ الجدد
نحن قوم فتنا مُثُلٌ مالنفس الحر عنها من مجيد

(١) - الأعاصير : ص ٧٢ - ٨١ .

(٢) - د : ص ١١٣ - ١١٤ .

كلا استشهد منا بطل هتف الأجداد أهلا بالحفيد !
وفي ثورة ١٩٣٩ شتبد حملة الشاعر على الإرهاب الانكليزي في
فلسطين ويعلن أن الغرب لا يفهم غير منطق القوة (١) :

من أخاديع فاسق	من يعرض الحقائق
نصف مليون سارق	سارق يدرِّي به
المنافق للرسول	في فلسطين آية
من قاتم الحرائق	سُجلت في صحائف
فوهات البنادق	للورى وتلتئن
من جبال المشائق !	أَلسُّن وروتهن
لم يقم عذر واثق	يالثاماً بعدهم
كذبونا بصادق !	كلِّمَ جَدَ آفَكَ
الطرائق بأحب	كم نشدنا سلامكم
المصادق للحليف	فأبيتم سوى الأذى
بالممناطق عاقت	منطق الغرب في التي
الدوايق كالسيول	فأملاوا الجو وازحفوا
اللقالق لاصطياد	البواريد سُدَّدت
الغرانق بالأدب	قد صرعنا شقيكم
المراهاق بالغلام	وقد كيَّكم

١٢٠ - ١١٧ : ص العاشر الا

وعندما هام الفلسطينيون على وجوههم متشرّدين وخافوا فلسطين
الشهيدة ليسكناها أصوات الشعوب أحس الشاعر أحمد فهمي أن الأرض
قد زلزلت زلزالها^(١) :

و «زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها»
ولاحت على الأفق سحب الجلاء تشير الحروب وأهوالها
وهامت على وجهها أمّة كان نزاع الردى غالها
تشرد أفرادها في البلاد وراحوا يشوت أحوالها
وضمّت فلسطين من بعد ذاك لصوص الشعوب وأنذالها
ولكن الشاعر لا يفقدم ذلك إيمانه بالثورة والنصر والعودة^(٢) :

حرام علينا لذى الرقاد إذا لم ينذر إلى الثورة
حرام علينابقاء الكريم ونحن نعيش على المنذرة
حرام علينا الزلال القراء ح مadam فيما أخوه ذاته
فلسطين شعبك مال الزمان بأمامه الحلوة الرحمة
وأجلاء عن أرضه غاصب لشيم المقاصد والنية
يسانده الغرب ذاك الذي هو المصدر الفرد للنكبة

(١) — أحلام العودة : ص ٢١

(٢) — « : ص ٤١ - ٤٣ »

فَلَسْطِينِ شَعْبُكَ لَمَا يَرِزِلْ يَحْنَ لَطْلَعْتُكَ السَّمْحَةَ
إِلَى الْبَذْلِ ، فَالْبَذْلُ بَابُ النَّجَاحِ وَأَجْرُ الشَّهِيدِ رُبَا الْجَنَّةِ !

- ٣١ -

كَلَّا أَقْبَلَ الْيَوْمُ الْخَامِسُ عَشَرُ مِنْ أَيَّارِ مِنْ كُلِّ سَنَةِ ثَارِ الْلَّاجِئِينَ
وَهَا جَتَّ فِي نَفْوِهِمْ ذَكْرِي سُودَاءَ بِغِيْضَةَ ، وَهَا هُوَ ذَا الشَّاعِرِ أَمِينَ
شَهَارَ يَحْكِي لَنَا حَكَايَةَ شَهْرِ أَيَّارِ^(١) :

<p>هُلْ تَسْمَعِينَ ؟ سَرْ بَقْلِي هَذِهِ النَّجْوَى قَدْ كُنْتَ أَكْتَمْهُ فَلَا أَقْوَى وَكَيْفَ أَكْتَمْ فِي الشَّكْوَى ؟ كَيْفَ ارْتَحَلْتَ وَعَشْتَ فِي بَلْوَى ؟ مَاذَا دَهَى الشَّجَرَاتُ وَالْمَأْوَى حَتَّى غَدَتْ بَأْ لَنَا يُرَوِى ؟ أَمِي الْخَنَوْنَ</p> <p>قَالَ الْكَبَارُ : وَكَانَتِ النَّكَبَهُ قَالُوا : وَكَمْ بَطَلَ قَضَى نَحْبَهُ ! قَالُوا : وَإِنْ لَنَا غَدَأْ أَوْبَهُ</p>	<p>هُلْ تَذَكَّرِينَ ؟ صَوْتٌ يَمْزَقُ هَدَأَةَ الظَّالِمِهِ يَنْسَابُ بَيْنَ دِيَاجِرِ الْخَيمَهِ قَالَ الصَّغِيرُ مَنَاجِيًّا أَمَهُ : « أَمِي الْخَنَوْنَ ! مَاذَا - تَرَاهُ - يَشِيرُ أَيَّارُ فِي الْلَّاجِئِينَ إِنَّ أَتَى ثَارُوا فِي وَجْهِهِ وَكَانَهُ الْعَارُ ؟ مَنْ أَيْنَ نَحْنُ ؟ وَهَلْ لَنَا دَارُ - كَانَتْ لَنَا - وَرْبَا وَأَزْهَارُ وَشَاطِئُ مَرْحٍ وَأَطْيَارُ ؟</p>
--	--

(١) - المشعل الحالد : ص ٦٥ - ٦٧ -

ها ! أعدْ قواكَ للوثبة
كانوا ... كمن وهب الأسى قلبه
كلّ ينادى ضارعاً ربّه !
هل تذكرين؟

أمه عهد هناتنا السالف
والبرتقال وظلّه الوارف ؟
كم حدثوا ! أفيصدق الواصف ؟
أمه ما لفؤادك الواجب
ينساب من خفقاته هاقف ؟
ماذا وراء حنينك اللاهف ؟
ما تكتمين ؟»

...
وانهالت العبرات كالنار
تحتاج مسمعه كاعصار
تروي حكاية شهر أيار !
...

أم تحدق في دُجى الخيمه
قلب تفتح ملقياً همه
يحنو على أذنين في الظالمه :
...

مازلت أذكر أهيا الطفل الحبيب
يوم الرحيل ..
والشمس تقذف بالليل ،
على الجباء ، ومن بعيد :
الأفق يذخر بالتحبيب ،
والبوم ينعق ، والوليد
يدعو أباه ، ولا مجيب .
ظمآن ، والرجل الذليل ،
والتائهون بلا دليل ،
يبحاحهم فلق شديد
درب طويل ..
يفضي إلى بلد غريب !
مازلت أذكر أهيا الطفل الحبيب
يافا ، وعهد هناتنا العذب الجميل
أمس القريب ..

كانت تذهب بيتناسس الأصيل
مازلت أذكر ذلك البيت السعيد !
كم كنت أمرح طفلة بين النخيل
وفي الفضاعب الخزامي والورود

يلقى السلام على الدواي، والحقول
والطير تنشر شدوها الحلو الطروب ..
والشط تتعشه نسيمات الغروب
والبحر يعزف للربأ أحلى نشيداً
طفي الحبيب ! :

يا فا .. ونأيك عن رباها ان يطول
مادمت تذكري عهدها العذب الجميل !

...

«أمى الحنون»

حن وعنه مسامع الليل
أغفى تهدده روى الذل
والذكريات بمقلة الطفل
سوق دفين

ما زال يلهب دمعه الجاري
سوق إلى الشجرات والدار
يحتاجه .. وحديث أيار
ما زال يدفعه إلى الثار ،
ناجا طيف بلاده الساري
في خيمة نبتت من العار :

« عبر القرون »
حدق ! فإن سناء ماضينا
قد عاد يسطع في ما قينا
يمحو الدياجر عن روایتنا
قد عاد يسكب في بوادينا
حن الإباء .. هنا ينادينا
أنصت إليه مؤذناً فيما :
يا حائزون !

من للعرى ؟ وأهله الصيد
هانوا ، وشتّتهم رعادي
عن أرضهم ، ولشدّ مانودوا
في كل راية أغاري
تدعوهم ، وتزدّ اليد :
هيا انقضوا وإلى الحمى عودوا ،

...

طفل وأغنية وأزهار
يا فابكت ، وتففت الدار
عاد الصحاب ! وعاد أيا !

ونخت هذه المتنخبات بقصيدة للشاعر سليمان العيسى يقص فيها قصة «رسالة مؤرقه» تلقاها «من لاجئة» في الخامس عشر من أيار سنة ١٩٦٠ ، وفيها تعبر حي عن القلق الذي بدأ يجتاح النفس العربية من جديد ، بعد أن طال انتظارها بزوغ الفجر الموعود^(١) :

«عائدون ..

عائدون ..

إننا لعائدون ..»

هَدْرُ يضْجُّ بِسَمْعِي وَنَدَاءُ
وَمَا كَبِيرٌ مِنْ طَرِيقٍ ذَهَابِهَا
وَالهَا تَقُونُ حَنَاجِرَ يَبِسُّ الْهَوَى
كَالدُوْحَةُ انْطَلَقَتْ تَمَدَّ فَرَوْعَاهَا
هَدْرُ يضْجُّ .. وَفَوَادِي هَدَأَهَا
خَرْجُوا، وَآثَرَتْ الْفَرَارَ بِعَزْلَتِي
السَّاحَةُ الْكَبِيرَ تَغَصَّ رَحْبَهَا
سَنَعُودُ! حَنْجَرَةُ تَصْبِحُ، وَهَتْفَةُ
وَبِلَاغَةُ رُصْفَتْ خَطَابًا سَاحِرًا
تَضَيِّي مع التَّصْفِيقِ ، فَهِيَ هَبَاءُ
وَقَصِيدَةُ الْفَاظِمَاءُ حَمَاءُ

(١) - رسائل مؤرقه : ص ١١ - ١٨

سنعمود ! أسمعها وُتطبق عزلي
 أنا مثلهم ياشاعري عربية
 أنا مثلهم ، لكنني — وأقولها —
 خرجوا ، ولذت بغرفتي ماهزَّني
 لم تختلج قدماي حين تحرّكوا
 مضت السنون ، ومرَّ ألف مجنة
 فإذا القبور كا وعتها محنّتي
 شبح يلوح وومضة مجنونة
 ومواكب من آملين .. تلفّهم
 والساحة الكبرى خطيب ساحر
 مضت السنون ، وخيمي ممدودة
 لم تختلج قدماي يوماً ، لم أسر
 أرأيت كافرة بكل شعاعة
 عفو الضياء .. إذا أتتك رسالتي
 اليوم تكتسح البروق سماءنا
 ويلعل المذيع .. فالدنيا لنا
 ذكرى ثمار وتنطوي فكانها
 وضرية الوطن الشهيد تحية

*

أهم المصادر والمراجع

١) كتب ودراسات

- ١ - ابراهيم عبد الستار : شعراء فلسطين العربية في ثورتها القومية - نشر نادي الإخاء العربي ، حيفا .
- ٢ - ابراهيم العريض : الشعر وقضيته في الأدب العربي الحديث - بيروت ١٩٥٥
- ٣ - أسماء النقيب : قضية فلسطين من خلال الشعر العربي (باستثناء شعر أبنائها) - رسالة جامعية ١٩٥٦ - ١٩٥٧ (على الآلة الكاتبة)
- ٤ - أكرم زعيتر : القضية الفلسطينية - القاهرة ١٩٥٦
- ٥ - أنيس المقدسي : العوامل الفعالة في الأدب الحديث - بيروت
- ٦ - بدیع حقی : التراب الحزين - بيروت ١٩٦٠
- ٧ - جمال عبد الناصر : فلسفة الثورة - مصر ١٩٥٦
- ٨ - جورج صيدح : أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأميركي - بيروت ١٩٥٧
- ٩ - زي المحسني : ابراهيم طوقان شاعر الوطن المغصوب - القاهرة ١٩٥٥
- ١٠ - سعدی بسبسو : اسرائيل خيانة وجناية - حلب ١٩٥٦

- ١١ - شفيق جيري : أنا والشعر - مصر ١٩٥٩
- ١٢ - عارف العارف : النكبة : نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود
صيدا - بيروت ١٩٥٦ ج ١
- ١٣ - عبد الله التل : مذكريات التل - مصر ١٩٤٩
- ١٤ - عبد الله عبد الدايم : القومية والإنسانية - بيروت ١٩٥٧
- ١٥ - عمر فروخ : شاعران معاصران : طوقان والشافي -
بيروت ١٩٥٤
- ١٦ - قسطنطين زريق : معنى النكبة - بيروت ١٩٤٨
- ١٧ - محمد خليفة التونسي : الخطير اليهودي (ترجمة برونو كولات حكماء
صهيون) القاهرة ١٩٥١
- ١٨ - محمد مندور : قضايا جديدة في أدبنا الحديث - بيروت ١٩٥٨
- ١٩ - محمد نفر الخطيب : من أثر النكبة - دمشق ١٩٥١
- ٢٠ - منيف الرزاز : معالم الحياة العربية الجديدة - القاهرة ١٩٥٣
- ٢١ - موسى العلمي : عبرة فلسطين - بيروت ١٩٤٩
- ٢٢ - نجيب صدقة : قضية فلسطين - ١٩٤٦
- ٢٣ - وليد فتحاوي : النكبة والبناء - بيروت ١٩٥٦
- ٢٤ - يسار العسكري : قضية فلسطين من خلال شعر أبنائنا - رسالة
جامعة : ١٩٥٣ - ١٩٥٤ (على الآلة الكاتبة) ✓
- ٢٥ - يوسف هيكل : القضية الفلسطينية - يافا ١٩٣٧

ب) دواوين وجموعات شعرية

- ٢٦ - ابراهيم طوقان : ديوان ابراهيم - بيروت ١٩٥٥
- ٢٧ - أحمد زكي أبو شادي : من السماء - نيويورك ١٩٤٩

- ٢٨ - أحمد فهمي : أحلام العودة - دمشق ١٩٥٧
- ٢٩ - الياس فرحات : الخريف (الجزء الثالث من ديوانه) - سان باولو ١٩٥٤
- ٣٠ - أمين شتار : المشعل الحالد - البيرهالأردن ١٩٥٧
- ٣١ - ايليا أبو ماضي : الخايل - بيروت مكتبة صادر (بدون تاريخ)
- ٣٢ - بشارة الحوري : الهوى والشباب - دار المعارف بصرى ١٩٥٣
- ٣٣ - جورج صيدح : نبضات - باريس ١٩٥٣
- ٣٤ - « » : التوابل - بونس أيرس (الأرجنتين) ١٩٤٧
- ٣٥ - خليل زقطان : صوت الجياع - القدس ١٩٥٣
- ٣٦ - خليل مردم بك : ديوان خليل مردم بك - دمشق ١٩٦٠
- ٣٧ - رشيد سليم الحوري (الشاعر القرمي) : الأعاصير - صيدا ١٩٤٩
- ٣٨ - سالم الحضراء الجبوسي : العودة من النبع الحالم - بيروت ١٩٦٠
- ٣٩ - سليمان العيسى : رسائل مؤرقه - بيروت ١٩٦٠
- ٤٠ - سمير صابر : غداً نعود - بدون مكان ولا تاريخ
- ٤١ - شعراء جمعية الرابطة العلمية الأدبية في النجف الاشرف : الفلسطينيات - النجف ١٩٣٩
- ٤٢ - صالح الدين عبدالصبور : الناس في بلادي - بيروت ١٩٥٧
- ٤٣ - عبد الرحيم محمود : ديوان عبد الرحيم محمود - طبع عام ١٩٥٨
- ٤٤ - عبد الكريم الكرمي (أبو سالم) : أغانيات بلادي - دمشق ١٩٥٩
- ٤٥ - « » : المشرد - دمشق ١٩٥٣
- ٤٦ - عبد الوهاب البياتي : أباريق مهشمة - بيروت ١٩٥٥
- ٤٧ - علي هاشم رشيد : أغاني العودة - مصر ١٩٦٠
- ٤٨ - عمر أبو ريشة : ديوان شعر - حلب ١٩٣٧
- ٤٩ - « » : مختارات - بيروت (بدون تاريخ)

- ٥٠ - عيسى الناعوري : أناشيد - حماه (بدون تاريخ)
- ٥١ - فدوی طوقان : وجدتها - بيروت ١٩٥٧
- ٥٢ - " : وحدي مع الايام - مصر ١٩٥٣
- ٥٣ - كمال ناصر : جراح نفسي - بيروت ١٩٦٠
- ٥٤ - محمد العدناوي : اللهيب - صيدا بيروت ١٩٥٤
- ٥٥ - محمد علي الحوماني : التخييل - (بدون مكان ولا تاريخ)
- ٥٦ - محمود حسن اسماعيل : نار وأصفاد - مصر ١٩٥٩
- ٥٧ - محمود الخطوت : المهزلة العربية - بغداد ١٩٥١
- ٥٨ - نزار قباني : قصائد من نزار قباني - بيروت ١٩٥٦
- ٥٩ - نجيب عريضة : الأرواح الحائرة - نيويورك ١٩٤٦
- ٦٠ - هارون هاشم رشيد : أرض الثورات - بيروت ١٩٥٩
- ٦١ - " : عودة الغرباء - بيروت ١٩٥٦
- ٦٢ - " : غزة في خط النار - بيروت ١٩٥٧
- ٦٣ - " : مع الغرباء - القاهرة ١٩٥٤
- ٦٤ - يوسف الخطيب : العيون الظاء للنور - دمشق ١٩٥٥
- ٦٥ - " : عائدون - بيروت ١٩٥٩

ج) مخطوطات شعرية

- ٦٦ - أنور العطار
- ٦٧ - حسن البشيري
- ٦٨ - عبد الرحمن الكيالي
- ٦٩ - عمر بهاء الاميزي
- ٧٠ - محبي الدين الحاج عيسى

د) المجلات

- ٧١ - الآداب - تصدر في بيروت
٧٢ - الأدب - « » دمشق
٧٣ - الثقافة - « » دمشق
٧٤ - الرائد العربي - تصدر في حماه
٧٥ - الرسالة - كانت تصدر في القاهرة
٧٦ - العربي - تصدر في الكويت
٧٧ - المسلمين - « » دمشق



فهرس الموضوعات

الصفحة

٥

الإعداد

١٠ - ٧

تهنيد

دور الشعر في المعركة - جمع شعر النكبة - منهاجنا في الدراسة
ـ عملنا فاتحة لدراسة أدب النكبة .

الفصل الأول

الدور الأول : النكبة قبل قرار التقسيم

الجذور البعيدة للنكبة (١١) - اليهود يشترون الانكليلز (١٢) -
الثورة العربية وإخفاقها (١٣) - جهود الصهيونية ووعد بلفور
(١٤) - الوكالة اليهودية وإقامة المستعمرات (١٥) - ارهاصات
النكبة وتخاذل العرب (١٥) - الحرب العالمية الثانية والفيريق
اليهودي (١٦) - قضية فلسطين في منظمة الأمم المتحدة وقرار
ال التقسيم (١٦) .

الفصل الثاني

شعر النكبة في الدور الأول

صوت الشعر بمحذر وبندر (١٨) - ابراهيم طوقان : ترجمته

- ١٧٩ -

(١٩) - تصوير أحداث الدور الأول للنكبة في شعره (٢٥-٢٠) -
عبد الرحيم محمود : ترجمته (٢٦) - بطولته واشتراكيته وأنثراها
في شعره (٢٧) - عبد الكريم الكرمي (أبو سامي) : ترجمته
(٢٨) - نعمته على السوننة ويساريه (٣٠-٢٩) - برهان الدين
العبوشي : اتجاهه اليميني ونحوذج من شعره (٣١) - شعر النكبة
في الدور الأول يتلاقى كلها على الدعوة إلى القوة والتعبئة (٣١) .

الفصل الثالث

الدور الثاني : النكبة بعد قوار قرار التقسيم

جيش الإنقاذ (٣٢) - مجزرة دير ياسين وتدفق اللاجئين (٣٣) -
الجيوش العربية ترحب (٣٣) - مطامع الملوك والرؤساء (٣٤) -
الممثلية الحربية (٣٥) - المدنة الأولى (٣٦) - عودة الحرب ثم
إيقافها (٣٧) - ضم الضفة الغربية إلى الشرقية (٣٧) - الحصار في
الفالوجة وأنثره في ثورة الجيش المصري (٣٨) - المدنة وتحميد
الموقف (٣٩) .

الفصل الرابع

شعر النكبة في الدور الثاني

النكبة أعنف تجارب أدبنا المعاصر (٤٠) - كثرة الشعر في هذا
الدور (٤١) - الشعر يقص حكاية النكبة : ذكرى الخامس عشر
من أيار (عيسى الناعوري ٤١) - بداية المهزلة العربية (محمود
الحوث ٤٢) - تراجع جيوش الأصفار السبع (خليل زقطان
٤٣) - اللاجئون واتهامهم بالمربي من المعركة - رد التمهة

(محمد العدناني ٤٣ و عيسى الناعوري ٤٤) - حملة على خيارات الملوك (أبو سلمى ٤٥) - حملة على الجامعة العربية (٤٦) - مهاجمة الاستعمار وأذنابه (هارون هاشم رشيد ٤٧) - مأساة اللاجئين المشردين بلا غوث ولا نجدة (أبو ربيعة ، محبي الدين الحاج عيسى ، محمود الحوت ٤٨ - ٤٩) - سؤال كل لاجيء عن بلده وجواب الشعر (بشير قبطي ٥٠ ، هارون هاشم رشيد ، يوسف الخطيب ٥١) - شقاء اللاجئين وبؤسهم مادة لدواوين شعرية كاملة (٥٢) - تصوير آلام سكان الحمام (كاظم جواد ٥٢ ، عبد الوهاب البياتي ٥٣ ، بديع حقي ٥٤ ، كمال ناصر ٥٥ ، محبي الدين فارس و فدوى طوقان ٥٦ ، عيسى الناعوري وخليل زقطان ٥٧) - صورة اليأس والقلق والشك والنعمة والحدق (يوسف الخطيب : ترجمته و عرويته و نماذج من شعره ٥٨ - ٦١) - الحقد يُرضع مع الحليب (فدوى طوقان ٦٢) - الحقد في قلب كل عربي (محمد بدر الدين ٦٢) - الانقلابات الشعورية وتحقيق الوحدة بين مصر و سوريا عوامل في تخفيف حدة اليأس والنعمة والحدق (٦٣) - طور الایمان بالشعوب (يوسف الخطيب ، أبو سلمى ، خليل زقطان ٦٤) - التفاؤل والحنين الى الوطن المغصوب (محبي الدين الحاج عيسى و أبو سلمى ٦٥ و يوسف الخطيب ٦٦) - الدعوة الى التأر والعودة (عيسى الناعوري وخليل زقطان ٦٨ و كمال ناصر ٦٩) هارون هاشم رشيد : شاعر العودة غير مدافع ، تجارب اللاجئين الغرباء في دواوينه ، سخريته من دعاء السلام (٧٠ - ٧٣) - عودة الثقة بالنفس العربية و تحدي اسرائيل (سمير صابر ٧٣) - صمود غرة أمام العدو ان (هارون هاشم رشيد)

- ٧٥) - الأمة العربية ولدت من جديد (صلاح الدين عبد الصبور
٧٦) - أثر النكبة في توحيد الأمة العربية (أبو سلمى ٧٧) .

الفصل السادس

خصائص شعر النكبة

٩٤ - ٧٨

الشعر دلل على أن النكبة كارثة قومية جامعة (٧٩) - أصدق ألحان النكبة غناها أبناء فلسطين (٨٠) - في شعر النكبة صورة مختلف التيارات الاجتماعية في العالم العربي (٨١) - أصفى ألحان النكبة (٨٢) - في شعر النكبة صورة المخاض النفسي ومراحله (٨٣ - ٨٤) - غنى العنصر العاطفي وفقر العنصر الفكري (٨٥ - ٨٤) - إهانة قيمة العنصر الأخلاقي (٨٦) - أثر النكبة في دعم الفكرة الشعرية الملزمة (٨٧ - ٨٩) - الثورة على التقاليد الشعرية القديمة وأثر النكبة في صياغة الشعر الجديد ومضمونه (٩٣ - ٩٣) - خاتمة : شعر النكبة هو لباب شعرنا المعاصر والنكبة هي العامل الرئيسي الفعال في أدبنا المعاصر كله (٩٣ - ٩٤) .

الفصل السادس

منتخبات من ديوان النكبة

١٧٣ - ٩٥

بشرارة الحوراني (٩٦) - محمد مهدي الجواهري (٩٧) - عمر أبو ريشة (٩٩) - نسبب عربضة (١٠٢) - إيليا أبو ماضي (١٠٤) - الياس فرحات (١٠٦) - جورج صيدح (١١٠) - محمد علي

الصفحة

الحومني (١١٥) - خليل مردم بك (١١٨) - سفيق جبري (١١٩) -
أنور العطار (١٢٠) - محمود حسن اسماعيل (١٢٣) - ابراهيم
طوقان (١٢٥) - فدوى طوقان (١٢٩) - أبو سلمى (١٣٤) -
يوسف الخطيب (١٣٩) - هارون هاشم رشيد (١٤١) - علي هاشم
رشيد (١٤٤) - عيسى الناعوري (١٤٥) - حسن البهيري (١٤٨) -
محمود الحوت (١٥١) - كمال ناصر (١٥١) - سلمى الخضراء الجيوسي
(١٥٢) - عزيزة هارون (١٥٥) - عمر بهاء الأميري (١٥٦) - زارقاني
(١٥٧) - علي محمود طه (١٦٣) - أحمد زكي أبو شادي (١٦٤) -
الشاعر القروي (١٦٥) - أحمد فهمي (١٦٨) - أمين شتار
(١٦٩) - سليمان العيسى (١٧٢) .

١٧٨-١٧٤

أهم المصادر والمراجع

كتب ودراسات (١٧٤) - دواوين وجموعات شعرية (١٧٥)
- مخطوطات شعرية (١٧٧) - المجالات (١٧٨) .

١٨٣-١٧٩

فهرس الموضوعات



المؤلف

يشكر مدير مطبعة جامعة دمشق وموظفيها
على ما بذلوه من جهد وعناء
في طبع هذا الكتاب

تم طبع الكتاب في
١٩٦٠ / ١١ / ٢٧